

جامعة بابل
كلية التربية
قسم اللغة العربية

التقديم والتأخير في النتائج النقدية والبيلاغية عند العرب

أطروحة تقدمت بها

رئيسة هيئة كبار العلماء
رئيسة هيئة كبار العلماء

إلى مجلس كلية التربية – جامعة بابل
وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية
وآدابها
بإشراف

أ.م.أ. د. جواد عبد السلام

آذار 2009

ربيع الأول 1430

شكر وامتنان

إذا كان من كمال الفضل شكر ذويه ، فان واجب العرف يحتم علي أن أوجه امتناني الخالص واحترامي الكبير للأستاذ الدكتور (اسعد محمد علي النجار) لما أبداه من مساعدة ورعاية أبوية .

ولأساتذتي النجباء (أ.د.عباس محمد رضا ، أ.م.د.عدنان العوادي
أ.م.د.قيس حمزة الخفاجي) _ الذين زودوا جعيتي الفكرية بزيادة علمهم الوفير في مرحلة الدكتوراه ، وشجعوني على المتابعة والمواصلة ومواكبة المسيرة العلمية دوماً وفير الاحترام والتقدير ، واني لأشعر بالفخر والاعتزاز أن أكون ممن كتب الله لهم أن يتخرجوا على أياديهم الكريمة ، وان يتفوقوا بظلال علمهم وتوجيههم السديد ، فبارك الله في جهودهم .

ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل شكري لأساتذتي الأجلاء (أعضاء لجنة المناقشة) لتجشّمهم عناء القراءة والحضور والمناقشة ، ولما سيبدونه من ملاحظ سديدة ، وتوجيهات تغني البحث وتسمو به ، وتفتح آفاقاً جديدة أمامه .
وأقدم مودتي واعتزازي وهذه الكلمات :

كان الغيم ينهض من جبيني
إذا ما طيفك الدافيء دعاني
ليغسلني من الصمت الحزين
قضى ربي لك الإحسان فرضا
وفيضك بالندى كم يعتريني
إذا ما الدهر أضناني ظنونا
فقلبك لي كما الحصن الحصين
إلى رمز البذل والعطاء (أمي) العزيزة .

وفي نفسي الشكر الوافر والثناء الجميل للأخت والصديقة (د. زينة عبد الجبار المسعودي) التي قدمت لي مساعدات لا تتسى أبداً إذ تعهدت بتوفير المصادر من مكتبتها الخاصة ومكتبة الجامعة المستنصرية ، فضلاً عن تشجيعها المستمر لي وشدها من أزمي ، فلا يسعني إلا أن أتضرع إلى العلي القدير أن يهنئها بتحقيق الأمنيات .
ولا يفوتني أن اذكر بالخير العم الفاضل السيد (جواد كاظم آل محي الدين) لسؤاله الدؤوب عن المراحل التي قطعتها ، وحثه إياي على مواصلة العمل والتغلب على الصعاب ، وتهوين المشكلات التي اعترضت سبيلي ، سائلة الله أن يمن عليه بالصحة والعافية .

واشكر كل من مد لي يد العون واخص بالذكر زملائي الذين رافقوني في السنة التحضيرية ، وما بخلوا علي بشيء من مساعدة أو إعانة ، راجية الخالق جل ذكره أن يمن عليهم نعمه وأفضاله في الدارين .

زينة

إقرار المشرف

اشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ(التقديم والتأخير في النتاج النقدي والبلاغي عند العرب) التي تقدمت بها الطالبة (زينة غني عبد الحسين) جرى بإشرافي ، في كلية التربية ، جامعة بابل وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها - أدب .

الامضاء :

المشرف :

التاريخ : / /

بناء على التوصيات المتوافرة أرشح الأطروحة المذكورة للمناقشة .

الامضاء :

رئيس قسم اللغة العربية

ا.م.د حامد عبد المحسن الجنابي
التاريخ : / /

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ
مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ
نَارٌ نُوِّرَ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

والمرتضى هو سيد البلغاء
ليعينني في زحمة العلماء
لك بعدها يا أفضل الأمراء
ومن الذي يخلو من الأخطاء

إن البلاغة علة الأدباء
واليوم أهدي للإمام بلاغتي
أهديك أعمالي وتلك تحيتي
إنني لأرجو أن تصوب رميتي

زينة

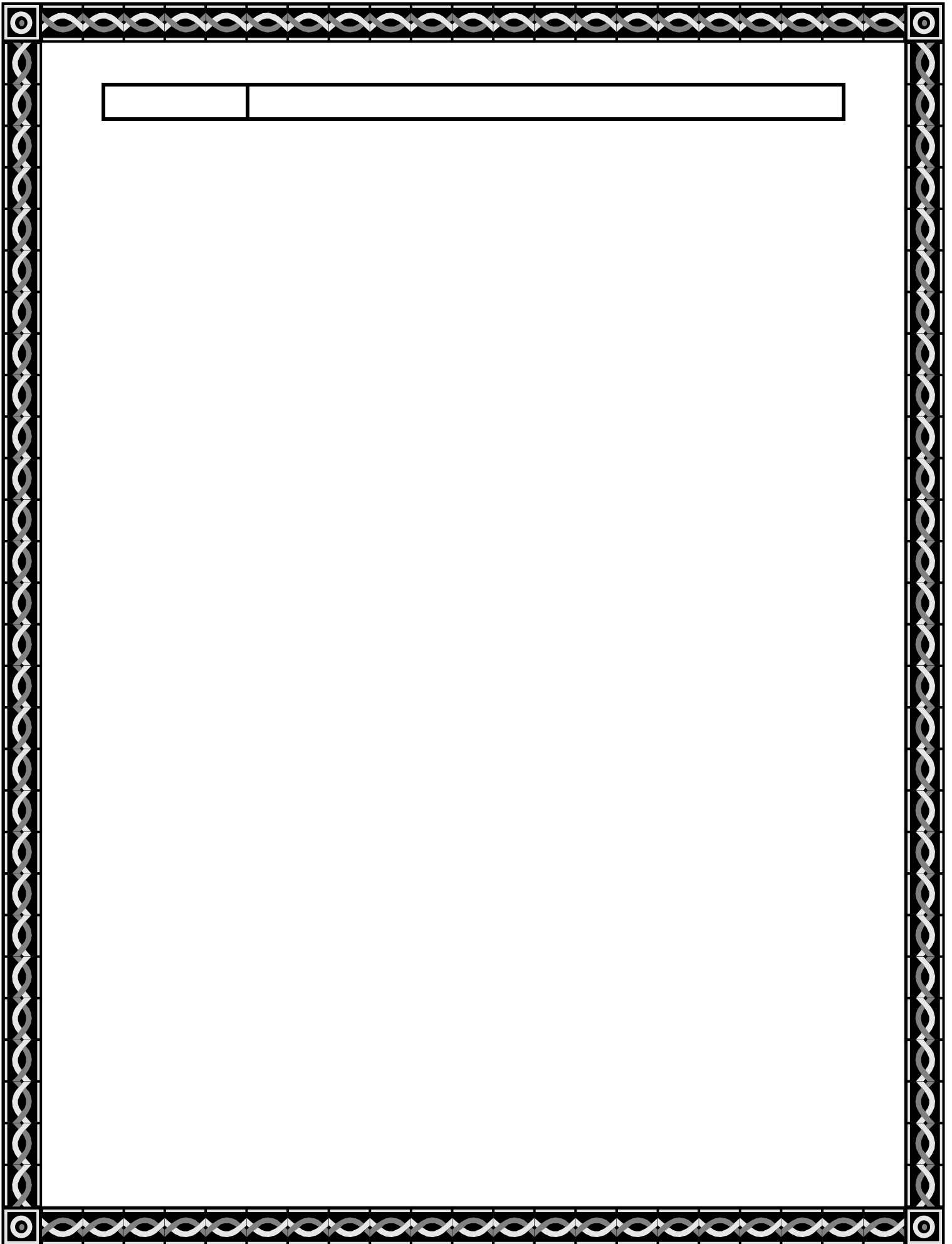
المحتويات

المحتويات

[illegible]

[illegible]

[illegible]



***Fronting and postponement in the
Arabic eloquence and critique works***

A thesis submitted by

Zena Ghani Abdul Hussein Al- Khafaji

*To the council of college of education in Babylon
university as a partial fulfillment of Ph. Degree in
Arabic language and literature*

Supervised by

Prof. Dr. Hanaa Jawad Abdul Sada

Abstract

The fronting and postponement is atopic from the syntax topics and his doors and is a category from the logician categories and is away from the ways of the eloquence and is a chapter from the chapters of the literary critique and is a pillar from the pillars of the meanings and is a manifestation from the manifestations of the disablement of the Quran and is a method from the methods that are used to remove the ambiguity from the talk.

In addition to the scientific value which have gained here from the testimonies of the scientist, the fronting and postponement ((is a door with too many benefits)) to abd al kaher al jerjany, and is a sign of the courage or bravism of the Arabic language to abn jenni and abn al atheer, and is a secret from the secrets of the Arabic language to al thaalibi

(A)

Putting the words in their places, will provide the elements of beautifulness in the script and make coalition and harmony . while putting these words outside their places make aversions and heaviness . and by this the fronting and postponement take a good place in the eloquence lesson because it lies in the focus of the phraseology themes .

According to the nature of the subject and the collected scientific materials , we divide the theses into three chapters , proceeded by the introduction and followed by the epilogue .

In the introduction , we deals with two axes .

The first axis deals with the definition of the fronting and postponement in the language and the idiom.

In the second axis we deals with the role of the fronting and postponement in the eloquence of the speech.

(B)

In chapter one , we deals with the fronting and postponement , between the grammar and the eloquence.

In chapter two we emphasized on the kinds of the fronting and postponement in the previous and the recent eloquence studies , which consist from the following :-

fronting and postponement in the confirmation , fronting and postponement in the banishment , fronting and postponement in the inquiry , etc .

In chapter three we deals with the fronting and postponement according to the opinion of the past and the recent critics and we show their different opinion about the fronting and postponement.

We finish our study by summary , showing the results , that I have made in my study. and then I document the references that I have used in my study.

(C)

Finally I would like to thanks my supervisor (Dr. Hanaa jawad abd al sada) for her great effort and her valuable advices , which guide me through my study.

(D)

جامعة بابل
كلية التربية
قسم اللغة العربية

التقديم والتأخير في النتائج النقدية والبيلاغية عند العرب

أطروحة تقدمت بها

رئيسة هيئة كبار العلماء
الشيخ عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

إلى مجلس كلية التربية – جامعة بابل
وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية
وآدابها
بإشراف

أ.م.أ. الأستاذ المساعد
د. جواد عبد السلام

آذار 2009

ربيع الأول 1430

شكر وامتنان

إذا كان من كمال الفضل شكر ذويه ، فان واجب العرف يحتم علي أن أوجه امتناني الخالص واحترامي الكثير للأستاذ الدكتور (اسعد محمد علي النجار) لما أبداه من مساعدة ورعاية أبوية .

وللاستاذتي النجباء (أ.د.عباس محمد رضا ، أ.م.د.عدنان العوادي أ.م.د.قيس حمزة الخفاجي) _ الذين زودوا جعبتني الفكرية بزاد علمهم الوفير في مرحلة الدكتوراه ، وشجعوني على المتابعة والمواصلة ومواكبة المسيرة العلمية دوماً وفير الاحترام والتقدير ، واني لأشعر بالفخر والاعتزاز أن أكون ممن كتب الله لهم أن يتخرجوا على أياديهم الكريمة ، وان يتفياؤا بظلال علمهم وتواضعهم ، فبارك الله جهودهم .

ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل شكري لأستاذتي الأجلاء (أعضاء لجنة المناقشة) لتجشمهم عناء القراءة والحضور والمناقشة ، ولما سيبدونه من ملاحظ سديدة ، وتوجيهات تغني البحث وتسمو به ، وتفتح آفاقاً جديدة أمامه . وأقدم مودتي واعتزازي وهذه الكلمات :

كان الغيم ينهض من جبيني
إذا ما طيفك الدافيء دعاني
ليغسلني من الصمت الحزين
قضى ربي لك الإحسان فرضا
وفيضك بالندى كم يعتريني
إذا ما الدهر أظناني ظنونا
فقلبك لي كما الحصن الحصين
إلى رمز البذل والعطاء (أمي) العزيزة .

وفي نفسي الشكر الوافر والثناء الجميل للأخت والصديقة (د. زينة عبد الجبار المسعودي) التي قدمت لي مساعدات لا تتسى أبداً إذ تعهدت بتوفير المصادر من مكتبتها الخاصة ومكتبة الجامعة المستنصرية ، فضلاً عن تشجيعها المستمر لي وشدها أزري ، فلا يسعني إلا أن أتضرع إلى العلي القدير أن يهنئها بتحقيق الأمنيات .

ولا يفوتني أن اذكر بالخير العم الفاضل السيد (جواد كاظم آل محي الدين) لسؤاله الدؤوب عن المراحل التي قطعتها ، وحثه إياي على مواصلة العمل والتغلب على الصعاب ، وتهوين المشكلات التي اعترضت سبيلي ، سائلة الله أن يمد في عمره .

واشكر كل من مد لي يد العون واخص بالذكر زملائي الذين رافقوني في السنة التحضيرية ، وما بخلوا علي بشيء من مساعدة أو إعانة ، راجية الخالق جل ذكره أن يمن عليهم نعمه وأفضاله في الدارين .

الباشئة

إقرار المشرف

اشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ(التقديم والتأخير في النتاج النقدي والبلاغي عند العرب) التي تقدمت بها الطالبة (زينة غني عبد الحسين) جرى بإشرافي ، في كلية التربية ، جامعة بابل وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها - أدب .

الامضاء :

المشرف :

التاريخ : / /

بناء على التوصيات المتوافرة أرشح الأطروحة المذكورة للمناقشة .

الامضاء :

رئيس قسم اللغة العربية

ا.م.د حامد عبد المحسن الجنابي

التاريخ : / /

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ
مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ
نَارٌ نُوْرٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا

والمرتضى هو سيد البلغاء
ليعينني في زحمة العلماء
لك بعدها يا أفضل الأمراء
ومن الذي يخلو من الأخطاء

إن البلاغة علة الأدباء
واليوم أهدي للإمام بلاغتي
أهديك أعمالي وتلك تحيتي
إني لأرجو أن تصوب رميتي

زينة

المحتويات

المحتويات

الصفحة	المحتويات
أ	الإهداء
ب-ج-د-هـ	قائمة المحتويات
6 - 1	المقدمة
24 - 7	التمهيد : التقديم والتأخير في اللغة والاصطلاح والتأثير.
10 - 8	أولاً : التقديم والتأخير لغة واصطلاحاً .
24 - 11	ثانياً : اثر التقديم والتأخير في بلاغة الكلام .
60 - 25	الفصل الاول : التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة
27 - 26	مدخل
28	الخليل بن احمد الفراهيدي
33 - 29	سيبويه
37 - 34	الفراء
40 - 38	الاخفش
43 - 41	المبرد
47 - 44	ابن جني
49 - 48	ابن سنان الخفاجي
54 - 50	عبد القاهر الجرجاني
56 - 55	الزمخشري
58 - 57	السكاكي

59	ابن الأثير
60	الملخص
100 - 61	الفصل الثاني: التقديم والتأخير عند النقاد القدامى والمحدثين
63 - 62	مدخل
84 - 64	المبحث الأول : التقديم والتأخير عند النقاد القدامى
66	أبو عبيدة معمر بن المثنى
67	الجاحظ
69 - 68	ابن قتيبة
71 - 70	ابن المدبر
72	ابن طباطبا
73	قدامة بن جعفر
75	الامدي
76	المرزباني
79 - 76	أبو هلال العسكري
80	القاضي عبد الجبار
82 - 81	أبو عبد الله الأندلسي
84 - 83	ابن رشيقي القيرواني
100 - 85	المبحث الثاني : التقديم والتأخير عند النقاد المحدثين
86	موقف د. عبد العزيز عتيق
87	موقف الباحثين د. مصطفى الرافي و د. عبد الحميد جيدة
87	موقف د. تامر سلوم
91 - 88	موقف د. عبده قليلة
92	موقف د. اسعد علي
97 - 92	موقف د. محمد عبد المطلب
98	موقف صلاح فضل
100 - 99	الملخص
143 - 101	الفصل الثالث: أنماط التقديم والتأخير في الدراسات القديمة و الحديثة .
104 - 103	مدخل
121 - 106	أولا : التقديم والتأخير في الإثبات

[illegible]

المقدمة



المقدمة

الحمد لله المقدم المؤخر، والصلاة والسلام على النبي المبشر بآيات ربه الحكيم المدبر، فأعرض من أعرض وتذكر من تذكر، اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه وآله الطيبين الطاهرين أبد الدهر .

وبعد ، فقد أدرك اللغويون العرب – وفي زمان مبكر – أن اللغة نظام متماسك تأخذ فيه الألفاظ بعضها برقاب بعض، فلا تظهر قيمة اللفظ الواحد إلا بحضور الألفاظ الأخر على التوالي، لأن هذه الألفاظ – التي هي أوضاع اللغة- لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف ما بينها من الفوائد وهذا ما أكده عبد القاهر الجرجاني ، فالكلمة المفردة المجردة لها هوية محدودة بدلالاتها الموضوعية لها فإذا وضعت في تركيب فإن شخصيتها الدلالية تتميز عندما توضع في هيئة تركيبية بترتيب ما، وتكون طرائق ترتيبها هي المصدر الأكبر المباشر لكل ما تتضمنه من تأثير .

فالترتيب – إذن- هو المقولة الأساسية في الفنون كافة، وهو الذي ترتب به المضامين والأشياء والمواد ... وهو من دلائل العقل المنظم ، ولذلك لا نعجب حين نجد له حضوراً مكثفاً – مع ما يقتضيه من تقديم وتأخير – في مختلف العلوم، فالتقديم والتأخير مبحث من مباحث النحو وأبوابه، ومقولة من المقولات المنطقية، وأسلوب من أساليب البلاغة ، وفصل من فصول النقد ، وركن من أركان المعاني، ومظهر من مظاهر الأعجاز القرآني، وهو وسيلة من الوسائل التي يتيحها النسق اللساني، واختيار من الاختيارات التي يجنح إليها المتكلم لإزالة اللبس عن كلامه ...

فضلاً عن القيمة العلمية التي اكتسبها من شهادات العلماء وتصريحاتهم وممارساتهم ، فالتقديم عند عبد القاهر الجرجاني كثير الفوائد ، جم المحاسن ، وهو عند ابن جني وابن الأثير من علامات شجاعة العربية ، وعده ابن فارس من سنن العرب في كلامها ، وجعله الثعالبي من أسرار العربية ، وهو عند الزركشي أحد أساليب البلاغة ، أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام .

وفضلاً عن ذلك فإن وضع الكلم في مواضعها هو مما يوفر عناصر الجمال في النص بما يكسبه من انسجام وائتلاف وتناغم، ويكون الإخلال بالمواضع، مما يكسب العبارة تنافراً وثقلاً ، يفقدها توافقها النغمي فيحس السامع وكأن بعضها يتبرأ من البعض الآخر.

وبهذا يتبوء التقديم والتأخير في الدرس البلاغي مكاناً مرموقاً يرجع في أصله إلى أهمية ما يقوم به في التعبير الأدبي من علاقات هي - في الحق - صلب ما في الأدب من أدبية، ويقع التقديم والتأخير في بؤرة مباحث الأسلوب، الدائرة حول التراكيب الناظرة في هيئات القول، بعيدة عن الكلام الغفل، وبه يتم إتخاذ الأماكن المناسبة، بالتدبير المنظم الذي يقف ضد الخطاب العادي .

انه أسلوب دقيق المسالك عميق الغور، مما جعلني أتردد كثيراً في اختياره فرقاً من أن لا أوفيه حقه، وقد كان اللغويون القدماء قد عنوا بهذا الأسلوب وبحثوا القوانين التي تنظمه، وبالرغم من هذا الاعتناء فإنهم لم يتوصلوا إلى الإجابة الكافية على معظم الأسئلة الجوهرية المعروضة حول هذا الأسلوب .

يضاف إلى ذلك أنهم لم يستطيعوا أن يقيموا صرحاً نظرياً للظاهرة ، ولعل من بين أسباب هذا القصور عدم الإفادة مما كتبه عبد القاهر الجرجاني والزمخشري ، والقاضي عبد الجبار في عمق نظرية النظم، وهو راجع من جهة أخرى إلى الإتكاء على ما كتبه رواد البلاغة واجترار معاصريهم والتابعين لهم بتلك النماذج التي صنعها أولئك نفر من البلاغيين الأوائل، يضاف إلى ذلك عجز المقلدين وعدم قناعتهم بفاعلية المزوجة بين النحو والمعاني .

أما ما كتب حديثاً فهو لا يعدو أن يكون بحثاً مبتسرة غير محيطة بقضايا التقديم والتأخير، إذ غالباً ما تكون هذه الكتابات متفرغة لدراسة جزيئة من جزيئات التقديم ، أو أن الحديث عن التقديم لم يكن هو المقصود بل يرد غرضاً ضمن مشروع بحث أوسع يكون صاحبه بصدد الحديث عن مجموعة ظواهر .

ومع غياب بحث يضطلع بمحاولة الكشف عن الفكرة الجوهرية الكامنة وراء هذا الشتات من المباحث قديماً وحديثاً ومع قصور البحوث المنجزة في هذا الصدد، يضاف إلى ذلك بحث دراستي في الماجستير القائم على دراسة موضوع الاقتباس والتضمين ، فقد اتجهت بي الرغبة في الدكتوراه إلى دراسة موضوع بلاغي آخر، تأكيداً مني للتخصص في هذا المجال ، وقد وقع اختياري على دراسة موضوع التقديم والتأخير في النتاج النقدي والبلاغي عند العرب ، للأسباب التي ذكرتها آنفاً .

وقد اقتضت طبيعة الموضوع والمادة العلمية المجموعة لدي ، بناء البحث على فصول ثلاثة يتقدمها تمهيد وتقوفاً خاتمة. فضلاً عن قائمة المصادر والمراجع .

أما التمهيد فقد كان بعنوان التقديم والتأخير في اللغة والاصطلاح والتأثير وتناولت فيه محورين، المحور الأول أختص بتعريف التقديم والتأخير في اللغة والاصطلاح، وتناول الآخر اثر التقديم والتأخير في بلاغة الكلام .

وعقد الفصل الأول لدراسة التقديم والتأخير عند النحاة والبلاغيين، إذ تتبع هذا الفصل مصطلح التقديم والتأخير منذ ظهوره عند النحويين وحتى ارتحاله إلى البلاغة ضمن علم المعاني .

أما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان (التقديم والتأخير عند النقاد القدامى والمحدثين) ، إذ تعرض هذا الفصل لأهم آراء النقاد القدامى والمحدثين في التقديم والتأخير.

وخصص الفصل الثالث لرصد أنماط التقديم والتأخير في الدراسات البلاغية القديمة والحديثة ، وتشمل هذه الأنماط التقديم والتأخير في الإثبات، التقديم والتأخير في النفي ، والاستفهام ، وتقديم النكرة و(مثل) و(غير) على الخبر .

وأكملنا البحث بخاتمة بينا فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة ثم ثبتت للمصادر والمراجع التي أعانتنا على إنجاز هذه الدراسة .

ونود الإشارة إلى أننا أفدنا من كثير من الدراسات التي سبقتنا في دراسة التقديم والتأخير، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم ، د. محمود السيد شيخون، والتقديم والتأخير في القرآن الكريم ، حميد احمد عيسى العامري ، و التقديم والتأخير في القرآن الكريم (دراسة تحليلية) ، د. منير محمود الميسري .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بأسمى آيات الشكر وأعظم معاني الثناء لأستاذتي الفاضلة (د.هناء جواد عبد السادة) لتفضلها بالأشراف على هذا العمل ، ولما بذلته من جهد وصبر في تقويم الأطروحة، وإنارتها بتوجيهاتها السديدة، وإغنائها بآرائها العلمية القيمة، التي كان لها دورها الفاعل في بلوغ الأطروحة شأوها المبتغى، داعية الباري -عز وجل- أن يوفقها لخدمة العلم ورفد مناهله برؤاها المتروية.

وتبقى هذه الدراسة محاولة متواضعة تسعى للارتقاء إلى مستوى الطموح، وتعتبر عن الأمكانات المتواضعة للباحثة التي تتوخى الصواب ، وتملك طموحاً كبيراً ، فإن أصابت فيما تصبو إليه وتتوخاه فذلك فضل الله العزيز القدير الذي يرفع من

يشاء درجات ويتم آلاءه عليه ، وإن تعثرت خطاها فحسبها أنها من جنس البشر الذي لا يعصم من الهنات والزلات ، ولا يبلغ الكمال البتة ، ويكفيها أنها اجتهدت وسهرت وصبرت ، وذاقت المعاناة ، وما زالت تخطو خطواتها بحيلة وحذر في طريق الرحلة العلمية .

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه الكريم وسبباً للفوز بجنان النعيم وخدمة للغة العربية وكتابتها العظيمة ، ويغفر لي الزلة ، ويتغمدني بالرحمة ، أنه نعم المولى ونعم النصير ، وصلى الله تعالى وسلم وبارك وأنعم على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين ، وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان وسار على منهاجهم إلى يوم الدين .

زينة

التقديم

التقديم والتأخير في اللغة والاصطلاح
والتأخير

أولاً : التقديم والتأخير : لغة وأصطلاحاً
ثانياً : اثر التقديم والتأخير في بلاغة
الكلام

أولاً : التقديم والتأخير : لغة وأصطلاحاً .

يقال: تقدمه وتقدم عليه ، واستقدمه أي طلب قدومه، وقدمته جعلته مقدماً على....، وأقدمته واستقدمته بمعنى واحد، قدم شيئاً على آخر ، ومقدمة الجيش : للجماعة المتقدمة، والإقدام في الحرب الشجاعة المتناهية (1).
وقال ابن منظور ((القدم والقدمة)) : السابقة في الأمر، وتقدم كقدم ، وقدم وأستقدم : تقدم ((2)).
ومن أسماء الله تعالى، المقدم وهو الذي يقدم الأشياء، ويضعها في مواضعها، فمن استحق التقدم قدمه والقديم على الإطلاق : الله عز وجل (3).
والقدم والقدمة : السابقة في الأمر ، وتقدم كقدم ، وقدم واستقدم: تقدم ، وأقدم على الأمر ، شجع ، وأقدمته وقدمته (4).
ويقال : ((مضى قدماً وتأخر أخراً ، وجاء في أخريات الناس ، وأخرته فتأخر ، وأستأخر كتأخر)) (5). ومنه قوله تعالى : ((ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين)) (6).
والآخر خلاف الأول ، والآخر نقيض المتقدم ، ويقال : لا مرحباً بالآخر أي بالأبعد (7). وتأخر وأخر تأخيراً استأخر (8).

وبناء على ما تقدم تبين أن التقديم والتأخير في اللغة متناقضان، إذ يعنى الأول بوضع الشيء أمام غيره وقد كان خلفه ، ويعنى الثاني بوضع الشيء خلف غيره وقد كان أمامه ، وبالمعنى نفسه أنتقل هذا المبحث من الوضع اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية ، إذ اعتاد العرب تقديم ما حقه التأخير لفضل دلالة وتمام معنى ، وتأخير ما حقه التقديم للغرض ذاته، وذلك يجعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة (1).
ويرى الثعالبي أن العرب تبتدئ بذكر الشيء والمقدم غيره كما قال عز وجل:
(يا مريم اقنتي لربك وأسجدي واركعي مع الراكعين)) (2).

- (1) ينظر : أساس البلاغة ، الزمخشري (مادة قدم) : 234/2-235.
- (2) لسان العرب ، ابن منظور (مادة قدم) : 466/12-467.
- (3) ينظر : المصدر نفسه (مادة قدم) : 465/12.
- (4) ينظر : القاموس المحيط ، الفيروز آبادي (فصل القاف باب الميم) : 162/4.
- (5) ينظر : أساس البلاغة ، (مادة اخر) : 6/1.
- (6) الحجر : 24.
- (7) ينظر : لسان العرب : مادة (اخر) : 12/4 .
- (8) ينظر : القاموس المحيط ، الفيروز آبادي (فصل الهمزة باب الراء) : 376 / 1 .
- (1) ينظر : الإكسير في علم التفسير ، عبد الكريم البغدادي : 154.
- (2) آل عمران : 43.

و قال جل و علا ((فمنكم كافر ومنكم مؤمن)) (3). و قال سبحانه وتعالى ((يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور)) (4). وكقول الشاعر في ذكر بني هاشم : (البيت من الطويل) .

بهاليل منهم جعفر وأبن أمه علي ومنهم أحمد المتخير (5)
فقد تقدم من الآية الأولى القنوت والسجود على الركوع وهو قبلهما ، وتقدم في الآية الثانية الكافر على المؤمن وهو الأصل ، وتقدم في الآية الثالثة الإناث على الذكور وهم الأولى ، وفي بيت حسان تقدم جعفر وعلي (عليهما السلام) على النبي (صلى الله عليه وآله) .

ولا شك في أن العرب كانت تفضل ذلك دلالة على ملكتهم في صوغ الكلام، وحاجتهم إلى إصابة المعنى، وتحقيق الغرض، حتى أتى هذا المبحث في كلامهم ((وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق)) (6) .

ومن مجموع أقوال العلماء القدامى استطاع علماءنا المحدثون وضع تعريف مناسب وملائم لأسلوب التقديم الذي نحن بصده إذ قال أحدهم عن التقديم إنه ((تقديم جزء من الكلام بمقتضى البلاغة حقه أن يتأخر في الترتيب بمقتضى الأصل العام في القواعد)) (1).

وهو أيضاً ((تغيير لبنية التراكيب الأساسية أو هو عدول عن الأصل يكسبها حرية ورقة ولكن هذه الحرية غير مطلقة)) (2) .

وتبعاً لما سبق فإن هذا التعريفين الدقيقين يوضحان لنا ما نريد معرفته عن هذا الأسلوب، فالجملة عبارة عن تراكيب لها بنية معينة بحيث تكون الجملة أسمية أو فعلية تبعاً لبنائها وأسلوب التقديم والتأخير تغيير في هذه البنية أو عدول عن الأصل بتغيير الكلمة من مكانها وهذا التحول في أماكن الكلمات داخل بنية الجملة يعطي تلك المفردات نوعاً من الحرية في ترك أماكنها والحلول في أماكن أخرى هي ليست أماكنها في الأصل، غير أن هذه الحرية ليست مطلقة أو عشوائية تحدث إرباكاً في الكلام وأخطاء لا تقبل بها مقاييس هذه اللغة وقواعدها، ونستطيع أن نقول في تعريف التقديم والتأخير اصطلاحاً هو أسلوب تبادل مواقع الكلام، فهو أحد أساليب الانزياح في اللغة والدلالة، لأن الكلمات تتبادل مواقع الكلام .
فأي كلمة حقه التقديم في حملتها لصدارتها فيها ، ولحظوتها بوقوعها مدار الحديث والاهتمام يلزمها بالضرورة تأخير أخرى.

(3) التغابن : 2.

(4) الشورى : 49.

(5) ينظر : فقه اللغة و اسرار العربية، الثعالبي : 8 ، والبيت لحسان بن ثابت، ينظر شرح ديوان حسان ابن ثابت الأنصاري ، ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوقي : 237.

(6) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: 233/3.

(1) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، د. عز الدين علي السيد : 134 .

(2) بحوث بلاغية ، د. أحمد مطلوب : 41 .

ثانياً : اثر التقديم والتأخير في بلاغة الكلام .

يتصل أسلوب التقديم والتأخير بدراسة التركيب ، ومن هنا كان شديد الارتباط بقضايا اللغة من حيث طبيعتها في الإبداع تبعاً لمنطق عقلي سليم يتولى ترتيبها على وفق نسق محدد . كما يتصل من ناحية أخرى بقضايا البلاغة انطلاقاً من ظاهرة الانفلات من القوالب الجاهزة ((فالتقديم والتأخير زيادة في إيضاح المعنى ، وتحسين الكلام ، ولهذا يتصل التقديم والتأخير بالبلاغة وثيق الاتصال)) (1) .

ويؤكد د. عبد الحكيم راضي مدى عمق تراثنا البلاغي ، وهو يفسر تفسيراً جمالياً ظاهرة الإعراب ، وما تتيحه من إمكانيات هائلة في سبيل اكتساب اللغة مرونة، تجعلها أداة طيعة عند التوظيف الأدبي ، بما تمكن من قدرة على القفز على مقتضيات الترتيب المعيارية، حيث تحصل مساحة من ((حرية الحركة ، وتعدد الأماكن التي يمكن أن يحتلها كل جزء من أجزاء الجملة ... فالمسألة في كل حالة من الحالات مسألة حس أكثر منها مسألة مذهب نحوي ... والغرض هو إبراز كلمة من الكلمات لتوجيه التفات السامع إليها ، وتلك مسألة أسلوبية يمكن تتبعها إلى أقصى وقائعها ، ومن ثم كانت دراسة التنظيم كثيراً ما تجور على دراسة الأسلوب)) (2) ليس متيسراً مطلقاً بحث نماذج عن جميع دواعي وأسباب ظاهرة التقديم والتأخير، لذلك ارتأيت رصد طرفاً منها على سبيل التمثيل ، إذ يرتبط ذلك في

الأساس بالأجواء النفسية التي تكتنف عملية التخاطب، وقد أحصى البلاغيون الأغراض التي تنوحي من التقديم والتأخير في المسند والمسند إليه ، فذكروا منها الاختصاص ، وتقديم الأكثر على الأقل، وتقديم الأعجب فالأعجب، وتقديم الأليق في السياق، وتعجيل المسرة، والتشويق للمتأخر (3) .

إن تلك الاعتبارات الجمالية الجمّة ترد إلى هذه الظاهرة الأسلوبية التي لولاها ما كان لتلك البدائل أن تكون، ثم يصير معها التكفل الأسلوبي بحاجات النفس في المواضيع الخاصة، عندما مكنت التقديم والتأخير من التمرد على المعتاد سواء شعر بذلك المتحدث أم فرض عليه ((أن المرء يصنع القول ثم ينظر فيه، فلا يفوق

(1) البلاغة والتحليل الأدبي ، د. أحمد أبو حافة : 99

(2) نظرية اللغة في النقد العربي : 212

(3) ينظر : البلاغة والتحليل الأدبي : 101 .

من أثره، ويعجب كيف أوتي هذه القدرة، ويخيل إليه أنه رهين ما أبتدعه. يظن أنه يسيطر على القول، ولكن القول يعود فيقتص لنفسه أو يسيطر على صاحبه ((⁽¹⁾).

وقد أدرك عبد القاهر تلك الوظيفة التي يؤديها التقديم والتأخير في الكلام بقوله ((هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان))⁽²⁾.

ويرى أن تقديم الشيء إنما يأتي بصيغتين الأولى أطلق عليها التقديم على نية التأخير، كتقديم الخبر على المبتدأ، والمفعول على الفاعل، فهما لم يخرجاً - إذ

قدما- عن هئيتهما قبل تقديمهما أو عن حكمهما الأعرابي مثل قولنا : ((منطلق زيد)). والصيغة الثانية - عند عبد القاهر - هي التي يأتي فيها التقديم لا على نية التأخير، ولكن بنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وعن إعراب إلى إعراب مثل قولنا : ((زيد المنطلق))، ويرى أنه لا يكون ذلك إلا للعناية بالمتقدم والاهتمام به والتنبيه عليه⁽³⁾.

ويرى عبد القاهر أن هذا الأسلوب الذي يتغير به ترتيب الكلمات هو تغيرات دلالية يمكن النظر إليها أسلوبياً بوصفها مظاهر إيجابية في النص. وقد كانت نقطة انطلاق ذات صفة جدلية يرد فيها على بعض من لهجوا بأن التقديم والتأخير يتم للرعاية والاهتمام مؤكداً على قيمه الأسلوبية وربطه بنظريته في النظم وجعله من مقتضياتها. ونتج عن موقفه هذا نتيجتان:

الأولى : يذهب عبد القاهر - كما يذكر أحد الباحثين - إلى أن من الخطأ تقسيم الكلام إلى مفيد وغير مفيد، وتحليله بالعناية تارة والتوسعة تارة أخرى؛ لأن التقديم والتأخير في الكلام البليغ إنما يكون لعلل بيانية يقتضيهما النظم ومعان إضافية تتبع التركيب، فقال : ((فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على أفعول في كثير من الكلام أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير فقد وجب أن تكون تلك مفيدة في كل شيء وكل حال))⁽⁴⁾، وما نراه في هذا الموقف أن عبد القاهر لم يغلط سابقه بشأن القيمة الأسلوبية لأسلوب التقديم والتأخير وإنما في تحليلهم له، فقد اكتفوا بالقول أنه قدم

(1) محاورات مع النثر العربي، د. مصطفى ناصف : 15

(2) دلائل الأعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر : 106.

(3) ينظر : المصدر نفسه : 107، وينظر : البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق، د. محمد بركات حمدي أبو علي : 41، وينظر : في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية)، د. حسين جمعة : 144.

(4) النقد البلاغي عند العرب حتى القرن السابع الهجري، د. عبد الهادي خضر نيشان : 182.

للعناية وأن ذكره أهم من غير أن يذكروا من أين كانت تلك العناية ولم كان أهم ، وهذا هو السبب الذي صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم .

الثانية : ارتباط هذا الأسلوب - التقديم والتأخير - بسمات أسلوبية تخص نسق الأداء ، وتتعلق بالمبدع أو المتقن ((لأنه إنما يكون تقديم الشيء على الشيء نسقاً وترتيباً ، إذا كان ذلك التقديم قد كان لموجب أو يجب أن يقدم هذا ويؤخر ذاك، فأما أن يكون مع عدم الموجب نسقاً فمحال)) (1).

ويجعل صاحب ((نهاية الإيجاز)) للتقديم دواعي وأسبابا يحسن بها ويروق؛ أولها : أن تكون الحاجة إلى ذكره أشد ، وثانيها أن يكون التأخير أليق بما أتصل من الكلام ، وثالثها : أن يكون المتقدم أعرف من المتأخر ورابعها : أن يكون المتقدم ذا صدارة في الكلام كالحروف في الاستفهام والنهي، وخامسها : أن يتقدم الكل على جزئياته ، وسادسها : أن يتقدم الدليل على المدلول (2) ، وربما يتوالد عن هذه الدوافع التي لأجلها يتم تقديم بعض الكلام على بعض، تلك التي يتحتم لأجلها التأخير ، وقد جمعها الرازي (606هـ) في ثمانية دوافع أولها: تأخير تمام الاسم كالصلة والمضاف إليه ، وثانيها: تأخير التوابع ، وثالثها : تأخير الفاعل ؛ إذ أنه لا يتقدم الفعل ، ورابعها : تأخير المظهر عن المضمّر ، وخامسها : التأخير لدفع اللبس ، وسادسها : عدم جواز تأخير الحروف التي لها صدر الكلام نحو (رب) و (ما) النافية ، وسابعها : ما لم يبلغ قوة الفعل في العمل ، كالصفة المشبهة والتمييز ، وآخرها ما يقع الفصل فيه بين العامل والمعمول بما ليس منه ، كقولنا : ((كانت زيدا الحمى تأخذه)) (3).

أما ابن الأثير فانه يجعل للتقديم والتأخير في الكلام غرضين أساسيين هما : الاختصاص ، ومراعاة نظم الكلام ، فيمثل للأول بقوله تعالى : ((بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)) (4) ، ويعلق على الآية قائلا ((ولم يقل ((فاعبد الله)) إذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره ، ولو قال : بل اعبد ، لجاز إيقاع الفعل على أي مفعول شاء)) (5) .

ويمثل للثاني – وهو مراعاة نظم الكلام – بقوله تعالى : ((إياك نعبد وإياك نستعين)) (6) ، يقول : ((فانه لم يقدم المفعول فيه على الفعل للاختصاص وإنما قدم

(1) دلائل الأعجاز، عبد القاهر الجرجاني : 106.

(2) ينظر : نهاية الإيجاز في دراية الأعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق وتقديم د. إبراهيم السامرائي ود. محمد بركات حمدي أبو علي : 160-161.

(3) نهاية الإيجاز : 162.

(4) الزمر : 66.

(5) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين الأثير، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد : 36/2.

(6) الفاتحة : 4.

لمكان نظم الكلام ، لأنه لو قال : نعبدك ونستعينك ، لم يكن له من الحسن ما لقوله ((إياك نعبد وإياك نستعين)) إلا ترى أنه تقدم قوله تعالى : ((الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين)) ، وذلك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون ، ولو قال : نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن ((1)).

وفي قول ابن الأثير هذا تناقض واضح، ففي قوله تعالى ((بل الله فأعبد)) يرى أنما قيل ذلك ولم يقل (بل أعبد الله) لأنه إذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره ، ولو تأخر لجاز إيقاع الفعل على أي مفعول نشاء، وهذا غير جائز عنده، لأنه في حديثه عن الضرب الذي يكون فيه التقديم هو الأبلغ كتقديم المفعول على الفعل يقول : ((فمن ذلك تقديم المفعول على الفعل، كقولك: زيدا ضربت، وضربت زيدا، فإن في قولك ((زيداً ضربت)) تخصيصاً له بالضرب دون غيره وذلك بخلاف قولك (ضربت زيدا) ، لأنك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار في إيقاعه على أي مفعول شئت، بأن تقول : ضربت خالداً ، أو بكرأ ، أو غيرهما، وإذا أخرته لزم الاختصاص للمفعول)) (2).

ثم ينتقل إلى الوجه الثاني الذي يختص بنظم الكلام في قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) ويقول : ((فأنه لم يقدم المفعول به على الفعل للاختصاص وإنما قدم لمكان نظم الكلام، لأنه لو قال نعبدك ونستعينك، لم يكن له من الحسن ما لقوله: (إياك نعبد وإياك نستعين) ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين)، وذلك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون، ولو قال : نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن ((3)).

اذن فحسن النظم والطلاوة اقتضيا أن يتقدم المفعول به على الفعل ، ولو اقتضى حسن النظم أن يقول (نعبدك ونستعينك) لجاز عنده ذلك ، لأنه لا يرى أن هنالك وجها للاختصاص مع إن الفعل واحد والمفعول به هو الله في كلا القولين وهذا بخلاف المعنى المراد من التقديم فلو قلت (نعبدك ونستعينك) لكنت مخيراً في إيقاع الفعل على أي مفعول شئت . ولجاز لنا أن نختار بين عبادة الله

وعبادة غيره كما في (ضربت زيدا) والحال ان الله يأمرنا بعبادته دون غيره ولسنا مخيرين بل مأمورون بوجوب عبادته لا بالاختيار ، ولعله لم يغفل ذلك ولكنه أراد أن يخطئ علماء البيان فقال : ((وعلى هذا فليس كل تقديم لما مكانه التأخير من باب الاختصاص، فبطل إذا ما ذهب إليه الزمخشري وغيره)) (4) . ودليلنا على ذلك انه ذكر مثالا آخر للوجه الثاني الذي يختص بحسن النظم وهو قوله تعالى : ((خذوه

(1) المثل السائر : 36/2.

(2) المثل السائر : 35/2 .

(3) المثل السائر : 36/2 .

(4) المثل السائر: 37/2.

فغلوه * ثم الجحيم صلوه) (1) حيث يقول : ((فأن قيل : إنما قدمت الجحيم للاختصاص ؛ لأنها نار عظيمة ، ولو أخرت لجاز وقوع الفعل على غيرها ، كما يقال : ضربت زيدا ، وزيدا ضربت ، فالجواب عن ذلك إن الدرك الأسفل أعظم من الجحيم ؛ فكان ينبغي أن يخص بالذكر دون الجحيم ، على ما ذهب إليه ؛ لأنه أعظم ، وهذا لا يذهب إليه إلا من هو بنجوة عن رموز الفصاحة والبلاغة ، ولفظة الجحيم ههنا في هذه الآية أولى بالاستعمال من غيرها ؛ لأنها جاءت ملائمة لنظم الكلام)) (2)

ولا يخفى على المتأمل إن ابن الأثير قد افترض سؤالاً لهذا النص والأولى أن يفترض هذا السؤال في قوله تعالى : اياك نعبد وإياك نستعين فأن قيل له : إنما قدم لفظ الجلالة (إياك) للاختصاص بعبادته دون غيره ولو أخرت لجاز وقوع الفعل على غيره كما يقال : ضربت زيدا وزيدا ضربت فما قوله في ذلك؟!

وإزاء ما تقدم نرى أن الأمر يتعلق هنا بالجانب الدلالي أكثر من الجانب الصوتي على نحو ما رأى ابن الأثير ، إذ إن سياق الآيات يوحى بضرورة اختصاص ذلك المنعم بكل تلك النعم بالعبادة دون غيره ، وقد توافق الجانب الدلالي هنا مع الجانب الصوتي ، فأضفى على التركيب زيادة حسن وتأثير ، ولو

إن الأمر في الآية مقصور على مراعاة الفواصل ، وتحقيق التناغم الصوتي في البنية السطحية ، دون الجانب الدلالي لرأينا ذلك يتعارض مع سياق الآية الذي يتطلب اختصاص المنعم بالعبادة في مقابل نعم لا تحصى ، ولا شك في أنه إذا تعارض الجانب الدلالي مع الجانب الصوتي فأن الأول هو المقدم لما يرتبط به من وظائف أساسية في التعبير .

ويرفض درجاء عيد -ونحن معه- هذا الزعم بأن التقديم والتأخير قد يكونان لرعاية الفاصلة ؛ إذ أورد البلاغيون قوله جل وعلا : **((خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه))** (3) ، بدلا من (صلوه الجحيم) لرعاية الفواصل ، ويقول : فذلك تسطيح لفكرة البلاغة ، ومعناه زعمهم إن الحرص على السجع دفعه إلى تقطيع التركيب الأصلي وإنما في رأينا- إن التقديم هنا له دلالة بلاغية للتأثير في النفس في سرعان بيان المصير السيئ الذي يترتب لهذا الذي (أخذ) ف (غل) (4) بيد أن هذا لا يقودنا إلى أن نهون من قيمة التألف اللفظي والإيقاع الصوتي لهذا النسق الباهر الذي نجتلي فيه فنية البلاغة ، ونرى فيه التعبير متناسقا كأنه لوحة فنية متكاملة (5) .

(1) الحاققة: 30-31.

(2) المثل السائر: 37/2.

(3) الحاققة: 30-31.

(4) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، درجاء عيد: 78.

(5) ينظر : الإعجاز البياني للقرآن ، د. عائشة بنت الشاطئ: 278، وينظر: التعبير القرآني ، د. فاضل السامرائي: 51.

كذلك لا نوافق البلاغيين على زعمهم أن التأخير فيما قدم رعاية للفاصلة ومراعاة لحسن النظم فيه إخلال بنظم الكلام (1) ، والذي يمثلون له بقوله تعالى: ((فأوجس في نفسه خيفة موسى ، قلنا لا تخف انك أنت الأعلى)) (2) . وذلك إن التقديم عدول عن النسق المألوف إلى نسق ذي دلالة فنية خاصة نحسها _ كما في الآية المذكورة _ في بيان الأثر النفسي في شعور موسى (عليه السلام) بالخوف ، كأنه قد بلغ من ضخامته وقوته ان تضائل بجانبه من كان فيه ذلك الأثر وهو (موسى) . ويورد البلاغيون للتقديم والتأخير دواعي وأسبابا ، ربما لا تتصل ببناء الجملة بقدر ما تتصل بطبائع الأشياء ومواقعها في الحياة والكون ، مما يكسب الكلام جمالا وتأثيرا ، لأنه سبيل إلى نقل المعاني في ألفاظها إلى المتلقي كما هي مرتبة في ذهن المتقن بحسب أهميتها عنده ، فيكون الأسلوب صورة صادقة لأحاسيسه ومشاعره . فقد تتقدم الكلمة في الذكر لاختصاصها بما يوجب لها ذلك (3) كتقديم السبب على المسبب في قوله تعالى: ((وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا)) (4) .

يقول ابن الأثير : ((فقدم حياة الأرض واسقاء الأنعام على اسقاء الناس ، وان كانوا اشرف محلا لان حياة الأرض هي سبب لحياة الأنعام والناس)) (5) . فلما كانت بهذه المثابة جعلت مقدمة في الذكر على الناس ، لان حياة الناس بحياة أرضهم وأنعامهم ، فقدم سبب نمائهم ومعاشهم على سعيهم ، أي انه مارس عملية الهدم والبناء في النفس والفكر لإحداث فتنة جمالية تكمن في تكثيف هذه الوظيفة الحقيقية لأسلوب التقديم والتأخير في هذا النص ، فالتكثيف يكتسب من الأواصر القوية بين الألفاظ ودلالاتها التي تعرضنا لها ، وهذه هي المزية الجمالية لهذا الأسلوب دون غيره من أساليب الكلام .

وتقديم الأكثر على الأقل ، كما ورد في قوله تعالى: ((فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات)) (6) فقدم الظالم لنفسه للإيذان بكثرته ، ثم أتى بالمقتصدين لأنهم قليل ، ثم السابقين وهم اقل من القليل (7) .

(1) ينظر: المثل السائر : 36/2.

(2) طه : 67.

(3) ينظر: المثل السائر : 43/2.

(4) الفرقان : 48-49.

(5) المثل السائر : 43/2.

(6) فاطر: 32 .

(7) ينظر: المثل السائر : 43/2.

وتقديم الأعجب فالأعجب (1) كما في قوله تعالى : ((والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع)) (2). قدم الماشي على بطنه لأنه أدل على القدرة من الماشي على رجلين، إذ هو ماش بغير الآلة المخلوقة للمشى، ثم ذكر الماشي على رجلين، وقدمه على الماشي على أربع، لأنه أدل على القدرة أيضا حيث كثرت آلات المشي على أربع (3). فاللغة في هذا الموضع تضطلع بوظيفة جمالية وفكرية ونفسية؛ وتتألق بجاذبية خاصة تتشكل في صورة العلاقة بين الصورة والدلالة، فالجمال البلاغي حريص على ألا يحدث فجوة حادة بين المتفطن والمتلقي، بل يريد أن يحدث دفئا كبيرا من الاتصال العاطفي يكمن بما يحمله من مفهوم توليد المعنى الحاصل من تقديم الأكثر دلالة على الأقل في سياق النسق البلاغي.

وتقديم الأليق بالسياق كقوله تعالى : ((وانا إذا أدقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الإنسان كفور لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما)) (4) فقدم الإناث على

الذكور مع تقدمهم عليهن، لان ذكر البلاء في آخر الآية الأولى، وكفران الإنسان بنسيانه للرحمة السابقة عنده، ثم عقب ذلك بذكر ملكه ومشيبته، وذكر قسمة الأولاد، فقدم الإناث؛ لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاء، لا ما يشاؤه الإنسان فكان ذكر الإناث اللاتي هن من جملة ما لا يشاؤه الإنسان ولا يختاره أهم والا هم واجب التقديم، ولما أخرج ذكر الذكور، وهم احقاء بالتقدير تدارك ذلك بتعريفه إياهم، لان التعريف تنويه بالذكور، فان تقديم الإناث لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى آخر.

ففي هذا الموضع يبرز لنا قدرة المتفطن على احتواء الانفعالات المتباينة، وهو يعمد إلى توجيه الفكر إلى مشيئة الخالق... وحين يسعى إلى تنظيم العلاقات بين الكلمات إنما ينظمها بين النفس وما تحمله من أفكار وتلقيه إلى المتلقي، فجمالية الصورة هنا تتركز في طبيعة الإحساس بها؛ وقد تحولت من مجرد شعور انفعالي إلى فكرة معنوية قوية التأثير والفعل.

وقد يعمد المتفطن إلى التقديم والتأخير، لإحداث انفعال شعوري في نفس المتلقي لغرض الإثارة أو غير ذلك من العوامل الأخرى (5)، كما يقول الزمكاني

(1) ينظر المصدر نفسه: 44/2.

(2) النور: 45.

(3) ينظر: المثل السائر: 45/2.

(4) الشورى: 48-50.

(5) ينظر: التعبير القراني والدلالة النفسية، د. عبد الله محمد الجبوسي: 305.

(651هـ): ((التقدم في اللسان تبع للتقدم في الجنان)) (1) ؛ لأن ترتيب الكلام اللفظي الذي يتم بوعي وإدراك إنما هو نتاج الترتيب الذهني فإذا خرج الكلام من الأديب كان لترتيبه أثر ظاهر في الحكم على العمل الأدبي ، ومن هنا كانت عناية الأديب بترتيب اللفظ الأدبي تصل إلى أقصى حد ممكن من التأثير في نفس المتلقي .

وقد تحدث عبد القاهر الجرجاني عن هذا اللون من التقديم وبين السر البلاغي في ذلك ، قال : ((فإذا قلت ((عبد الله)) فقد أشعرت قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه ، فإذا جئت بالحديث ، فقلت مثلاً ((قام)) أو قلت ((خرج)) أو قلت ((قدم)) فقد علم ما جئت به ، وقبله قبول المهيأ له المطمئن إليه وذلك لا محالة أشد لثبوتة وأنفى للشبهة وامنع للشك وادخل في التحقيق)) (2) .

ومحصل القول إن المتفنن يعتمد إلى هذا الضرب من الأسلوب ليحقق غاية نفسية معينة ، فيرتب الألفاظ على غير ما يقتضيه ترتيبها الوجودي ، طبقاً لتجربته الشعورية ، أو المعنى المراد بثه إلى المتلقي (3) نذكر على سبيل المثال (4)، قول المتنبي (5) : (البيت من الطويل)

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوا له ما من صداقته بد
إن البدء بكلمة (نكد) في هذا البيت كفيلاً بأن يحدث جواً تشاؤمياً مصاحباً للمتلقي وملقياً بظلاله عليه وكأنه يعكس حالة الشؤم الواقعي عندما يفاجأ الإنسان في بداية أمره بما يتشاءم به ، فيظل متشائماً حزينا ، إن هذه الصورة الواقعية المشاهدة بالبصر والمصاحبة للنفس والفكر هي بنفسها تلك الصورة الذهنية التي ابتدأ بها المتنبي بيته هذا لتبقى أثراً معنوياً سيئاً في نفس المتلقي .
ومنه قول أبي تمام (6) : (البيت من الكامل)

يوم الفراق لقد خلقت عظيماً
وتركت جسمي لا سقمت سقيماً

قدم أبو تمام ((يوم الفراق)) والترتيب هو لقد خلقت عظيماً يا يوم الفراق ، ولكن لما كان هذا اليوم بما يحمله من مشاعر الحزن والأسى والحرمان من الأحبة هو السبب لكل معاناة الشاعر النفسية والجسمانية ، قدمه في الذكر لما ترك في قلبه من حسرات ولوعات ولا زالت تحلق في خيالاته وتستقر في وجدانه ، وتتردد عليه

(1) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، الزملاكي ، تحقيق د.احمد مطلوب و د.خديجة الحديثي : 290.

(2) دلائل الإعجاز : 132.

(3) ينظر التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، حميد احمد عيسى العامري : 128.

(4) ينظر : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : 298.

(5) شرح ديوان المتنبي ، وضعه البرقوقي : 93/1

(6) ديوان أبي تمام : بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبدة عزام : 539/4، والبيت في الديوان، يوم الفراق لقد خلقت عظيماً وتركت جسمي - لا سقمت - سقيماً .

في سائر أوقاته ، إن هذا الصراع النفسي الذي وقع تحته أبو تمام جعل من ذلك اليوم علامة شؤم وهم

إن البنية الجمالية لهذا الأسلوب تنصهر في الذات الفاعلة ليتحد الهدف بالمقام وهما يتجاوبان مع التوترات النفسية إنها بنية تحدث العناصر المكونة لها فنيا في نطاق الوظائف التي تؤديها .

وبعد الحديث عن الفوائد بوصفها أساس الممارسة الإنشائية في صياغة الأساليب بكيفيات مخصوصة ، ليست إلا المعاني الإضافية أو المعاني الثواني ، جاءت نتاجا للتفوق في الإبداع التركيبي ، تظل الحركة الإعرابية تضمن وصول المعنى بالرغم من إجرائية القفز على الأصل المتمثل في الرتبة ان ((عدم اكترائهم بمسألة الرتبة هذه ، وبالعكس ، نحن نراهم أكثر انجذابا في اتجاه الرتبة المحفوظة، بغية تخطيها والانحراف عنها ، وهذا ما تؤكد تفرقتهم في تقديم المسند إليه، وأسبابه وأغراضه كالتشويق إلى الخبر ، أو تعجيل مسرته بالمسند إليه بتقديم ذكره وإيهامه انه لا يزول عن خاطره)) (1) .

وعلى وفق هذا المنظور يتخذ التقديم والتأخير قيما أسلوبية يضطر بموجبها الدارس إلى الاهتمام بكل عناصر البناء حتى يتسنى له إدراك الأسس الأسلوبية التي تبنى عليها هذه الظاهرة فيعرف ((إن للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلا ولا سبيل إليه مع التأخير)) (2) .

وطبقا لهذا الفهم فلا شك إذن في أن للتقديم والتأخير اثرا فاعلا في بلاغة الكلام ، فهذا الأسلوب يثير في المتلقي أنماطا من عناصر الدهشة لما ينطوي عليه من أبعاد فكرية ونفسية ، ولما يضيفه على الأسلوب من إعادة بناء الكلام طبقا لما يحتاجه المقام ، بحيث تتعلق الفائدة بفنية المتقن ((وهذه الفنية المتشابهة مع حسه الشعوري واللاشعوري هي التي تدخل في التركيب اللغوي للعبارة)) (3) .

فإذا تشابكت إرادة المتقن مع حسه تولد تركيبا جديدا ، ربما يختلف عما اعتاده الناس في كلامهم وتراكيبهم ، إلا انه اختلاف قد يتوافق -إلى حد كبير- مع

(1) نظرية اللغة في النقد العربي: 216.

(2) دلائل الإعجاز: 286.

(3) فلسفة البلاغة، درياء عيد : 79.

مرادات المتفنين والمتلقي على حد سواء ، والسعي نحو الغاية المرجوة من الكلام ،
وهي الإيصال والإفهام .

الفصل الأول
التقديم والتأخير
بين النحو والبلاغة

مداخل :

لا شك أن العلاقة وثيقة بين علمي النحو والمعاني ، فكلاهما يتناول الجملة ، إلا أن الأول تحليلي يبدأ بالجملة للوصول إلى المعنى ، والآخر تركيبى يبدأ بالجملة ويتخطاها إلى علاقاتها بالجمال الآخر في السياق العام⁽¹⁾ . هذا الترابط الوثيق بين العلمين قديم ، يرجع بأصوله إلى بدايات الدرس البلاغي ، عندما اخذ العلماء عن النحويين أهم أصولهم فقبلوا قبول التسليم أصل الوضع ، إلا أنهم اختاروا أصولاً آخر معنوية الطابع وهي الصق بمادة دراستهم⁽²⁾ . هذا التقارب هو نتيجة حتمية لنشوء علم المعاني في أحضان النحو ، إذ قام صرح البلاغة على أساس من جهود أوائل النحاة و اللغويين الذين تناولوا اللغة من خلال منهج يتسم بالفطرة والطبع ، فتعاملوا معها على إنها بناء دلالي تركيبى متكامل⁽³⁾ ولم يتناولوها على إنها ظواهر إعرابية متفرقة ، لذا كانوا كثيراً ما يربطون بين المقام والمقال ، وقد جسد سيبويه هذا المنهج في كتابه وذلك حين قال : ((وليس شيء مما يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً))⁽⁴⁾ .

وكذلك حاول المبرد أن يقترب من هذا المنهج ، حتى جاء ابن جني فقدمه في أجلى صورته ، إذ حاول التقليل من اثر العلامة الإعرابية ، والعوامل التي أخذت تطغى على الدرس النحوي في عصره ، وأكد أهمية المعنى في تحديد الوظائف النحوية للكلمات ، إلا ان النحاة المتأخرين أهملوا هذا المنهج وصرفوا

اهتمامهم إلى ضبط أواخر الكلمات ، ووضع القواعد والحدود على وفق أسس منطقية صارمة⁽⁵⁾ ومن هنا حاول البلاغيون الاستقلال بعلم خاص ، يعنى بالنواحي الفنية والجمالية للغة ، لمعرفة أرقى أساليبها ، فقام عبد القاهر الجرجاني بحمل هذه المهمة الجليلة ، فوضع أسس هذا العلم ، وأعطاه سمته الخاصة التي تميزه عن سائر العلوم .

ومن المسلم به ان الكلام ((ما تضمن كلمتين بالإسناد لا يتأتى ذلك الا في اسمين أو في فعل واسم))⁽⁶⁾ واللغة تؤدي وظيفتها بترتيب الكلمات وتركيبها لتبلغ

(1) ينظر : الاصول دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، د.تمام حسان : 346 .

(2) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، د.تمام حسان : 18، وينظر: في فلسفة البلاغة العربية علم المعاني ، د.حلمي مرزوق : 69.

(3) ينظر : مناهج بلاغية ، د.احمد مطلوب : 99-100 .

(4) الكتاب ، سيبويه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : 32/1.

(5) ينظر فلسفة البلاغة ، د.رجاء عيد : 17.

(6) شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الاستربادي 7/1 وينظر : همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطي : 11/1.

غايتها في الإفادة وهي الإفهام ؛ لان التركيب اللغوي يقوم منطقيا على ترتيب الكلمات . وان هذا الترتيب يعبر عن حاصل الفكرة وتحليل القول ، وليست هناك لغة تتميز بحرية ترتيب عناصرها ، فكل عنصر تتحدد علاقته بالذي يجاوره (1).

وتأتي تقنية التقديم والتأخير في هذا الإطار التنظيمي لتحدث تغييرا في بنية التركيب على وفق قواعد تحويلية لتحقيق غرض جديد ، إذ ان أي تعديل في نظام ترتيب الكلمات في التركيب يحدث تغييرا في المعنى .

وقد تحدث النحاة الأوائل عن التقديم والتأخير ، ولعل من أهم الأسباب التي دفعت النحويين لدراسة التقديم والتأخير ((ارتباط الرتبة بالنحو ، ارتباطا يحدد به حفظ أجزاء الجملة ، وحفظ تسلسلها التركيبي)) (2) .

فالتقديم والتأخير وثيق الصلة بقواعد النحو حتى ان جان كوهن سمي الانزياح الناتج من التقديم والتأخير بـ(الانزياح النحوي) (3)، وهنا نستعرض أهم رجال النحو الذين درسوا ظاهرة التقديم والتأخير.

الخليل بن احمد الفراهيدي (ت175هـ) :

يعد الخليل أول من أشار إلى التقديم والتأخير ، ويظهر ان إشارته تلك كانت ضمن دراسته للتركيب في التقديم والتأخير قال سيبويه في باب الابتداء : ((وزعم الخليل -رحمه الله- انه يستقبح أن يقول قائم زيد ، وذلك إذا لم تجعل (قائما) مقدما مبنيًا على المبتدأ ، كما تؤخر وتقدم فتقول : (ضرب زيدا عمرو) ، و(عمرو) على (ضرب) مرتفع ، وكان الحد أن يكون مقدما ويكون (زيد) مؤخرا ، وكذلك هذا ، الحد منه ان يكون الابتداء فيه مقدما ، وهذا عربي جيد ، وذلك قولك : تميمي أنا ، ومشنوء من يشنؤك ، ورجل عبد الله)) (4).

وعند إنعام النظر في قول الخليل نجده نفسه يفسر اثر التقديم والتأخير في عنصري المبتدأ والخبر على مستوى البنية السطحية والتحتية ، قياسا على طبيعة هذه التقنية ودورها في التركيب الفعلي لمقبولية عدول المبتدأ والخبر عن النظام التوليدي والمتمثل بـ(م+خ) باتخاذهما الشكل التحويلي المحدد (خ+م) الموحى بإنتاج دلالة الاهتمام بالمقدم والتركيز عليه لتبيان أهميته المضمونية في السياق ، لان

(1) ينظر : بحوث بلاغية ، د.احمد مطلوب : 41.

(2) البلاغة الأسلوبية ، د.محمد عبد المطلب : 284.

(3) ينظر : بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن : 179.

(4) الكتاب : 127/2.

((المقدم بؤرة التعبير))⁽¹⁾ ولذلك ذهب الخليل إلى أن تقديم الخبر في قولنا ((قائم زيد)) يبقى خبرا كما في تقديم المفعول على الفاعل ، ومن دون مراعاة ذلك يصبح الكلام قبيحا ((لأنه أما أن يؤدي إلى لبس كما في تقديم المفعول على حين

يصبح فاعلا أو يؤدي إلى المحال كما في تقديم الخبر حيث يخبر عن النكرة بالمعرفة ((⁽²⁾.

سيبويه (ت180هـ) :

حدثنا سيبويه في صدر كتابه عن التقديم والتأخير بكلام يعد فيه صاحب الريادة ، فنحن نلاحظ أن العلماء قبله كالخليل-كانوا يعرفون التقديم والتأخير ولكنهم لم يققوا على أسرارهِ البلاغية . أما سيبويه فإنه حين يعالج هذه التقنية يلفت النظر إلى سر بلاغي مهم تلقفه علماء النحو والبلاغة فناقشوه مؤيدين ومعارضين فأثرى بهذه ألفته الطيبة كثيرا من المباحث البلاغية فيقول في باب الفاعل الذي يتعداه فعله الى مفعول : ((فان قدمت المفعول وأخرت الفاعل كقولك (ضرب زيدا عبد الله) وكان حد اللفظ فيه أن يكون الفاعل مقدما وهو عربي جيد كثير كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم))⁽³⁾.

فمن شأن المفعول أن يتأخر عن الفاعل ، ولكنه إذا تقدم فذلك لعله قصد إليها المتكلم وهي العناية والاهتمام ، فان تقديم المفعول على الفعل يأتي لهذا الغرض البلاغي نفسه ، ويبدو أن سيبويه عندما أشار إلى الانزياح الحاصل بين عنصري الفاعل والمفعول بتقديم الفاعل على المفعول فمثلا بنحو ((ضرب عبد الله زيدا)) أراد تمييز إجراء عملية الانزياح على الهيكل التركيبي بقوله : ((فان قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول...))⁽⁴⁾ قاصدا باللفظ الوظيفة الإعرابية التي يشغلها كل من عنصري الفاعل والمفعول برغم تحويل

موضعهما عن النمط الأصلي ، لكون الانزياح المجرد من الانزياح الإعرابي يفرز مضمونا دلاليا يحقق غرضا بلاغيا واقتضاء مقامياً ، لذلك وصف هذا الانزياح بأنه ((عربي جيد كثير))⁽⁵⁾ لكون تركيب (ضرب زيدا عبد الله) يمثل التركيب الفعلي التحويلي بواسطة قانون الترتيب للتركيز على من وقع عليه الفعل ، لأنه يمثل الاهتمام الأكبر والأقوى في نفس المتلقي .

(1) في سيمياء الشعر القديم ، محمد مفتاح : 74، وينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د.مجيد عبد الحميد ناجي : 112.

(2) اثر النحاة في البحث البلاغي ، د.عبد القادر حسين : 58.

(3) الكتاب : 34/1 ، وينظر : البيان العربي ، د.بدوي طبانه : 233.

(4) الكتاب : 34/1.

(5) الكتاب : 34/1.

وفي حديث سيبويه عن الاستفهام نراه يستحسن أن يلي المسؤول عنه الهمزة ، ولاسيما في حالة إرادة دلالة التصور مشيرا الى وجوب تقديم العنصر المسؤول عنه سواء اسما كان أم فعلا وتقابله بالركن المعادل له ، باستعمال (أم) المعادلة المتصلة في سياق الهمزة مراعاة لمبدأ إيجاد التوافق بين المقام والمقال فيقدم الاسم في نحو : ((أزيذا لقيت أم بشرأ)) في حالة السؤال عن الشخص الملقى بحجة ((أنك إذا أردت هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن ، لأنك لا تسأله عن اللقي ، وإنما تسأله عن أحد الاسمين لا تدري أيهما هو ، فبدأت بالاسم ، لأنك تقصد قصد أن تبين لك أي الاسمين في هذا الحال ، وجعلت الآخر عديلا للأول ، فصار الذي لاتسال عنه بينهما))⁽¹⁾ . وبنى على هذه الأرضية الدلالية قاعدة معيارية تقرر بضرورة تأخير الاسم مع السؤال عن الفعل ، كقولك : ((أضربت زيدا أم قتلته ، فالبدء ههنا بالفعل أحسن ، لأنك إنما تسأل عن احدهما لا تدري أيهما كان ، ولاتسأل عن موضع احدهما ، فالبدء بالفعل ههنا أحسن ، كما كان البدء بالاسم ثم فيما ذكرنا أحسن))⁽²⁾ . ويقول سيبويه في باب ظن : ((فإذا ابتدأ كلامه على ما في نيته من الشك أهمل الفعل ، قدم أو أخر كما قال : زيدا رأيته ، ورأيته زيدا))⁽³⁾ فالتقديم هنا ليس للعناية والاهتمام كالموضع السابق في

تقديم المفعول على الفاعل أو الفعل وإنما التقديم هنا لغرض بلاغي آخر ولعامل نفسي طرأ على المتكلم في أثناء كلامه وحول يقينه إلى شك فألزمه تغيير وضع الألفاظ عما كان ينبغي أن تكون عليه .

وعندما يتحدث عن الأفعال الناقصة يجيز سيبويه أن يتقدم الخبر على الاسم ، إذا لم يمنع ما يوجب تأخيرها ، فإذا ورد الاسم معرفة والخبر نكرة فلا يجوز تقديم الخبر لان المعرفة أولى بالتقديم ، أما إذا ورد الاسم والخبر معرفتين أو نكرتين جاز التقديم والتأخير ، ولم يكتف سيبويه بذلك بل يستطرد ليشير في هذا الباب أيضا إلى العناية والاهتمام فيقول : ((كان عبد الله أخاك ، فإنما أردت أن تعبر عن الأخوة ، وأدخلت كان لتجعل ذلك فيما مضى ، وذكرنا الأول كما ذكرت المفعول الأول في ظننت . وان شئت قلت : كان أخاك عبد الله ، فقدمت وأخرت كما فعلت ذلك في ضرب ، لأنه فعل مثله وحال التقديم والتأخير فيه كحاله في ضرب ، إلا أن اسم الفاعل والمفعول فيه لشئ واحد . واعلم انه إذا وقع في هذا الباب نكرة ومعرفة فالذي تشغل به كان المعرفة لأنه حد الكلام ، لأنهما شيء واحد ، وليس بمنزلة قولك ، ضرب رجل زيدا ، لأنهما شيئان مختلفان ، وهما في كان بمنزلهما في الابتداء إذا قلت : عبد الله منطلق ، تبتدئ بالأعرف ، ثم تذكر الخبر ، وذلك قولك : كان زيد حليما ، وكان حليما زيد ، لا عليك اقدمت أم أخرت....))⁽⁴⁾

(1) الكتاب : 170-169/3.

(2) المصر نفسه : 171/3.

(3) الكتاب : 120/1.

(4) الكتاب : 47-45/1.

وفي موضع آخر من الكتاب تحدث سيبويه عن التقديم والتأخير للضرورة الشعرية، عندما تكلم عن الحروف (ربما وقلما) ومنع أن يأتي بعدها إلا الفعل، وأجاز أن يليها الاسم للضرورة الشعرية، ففي ذلك يقول: ((ومن تلك الحروف: ربما وقلما وأشباههما جعلوا (رب) مع (ما) بمنزلة كلمة واحدة،

وهيؤها ليذكر بعدها الفعل، لأنهم لم يكن لهم سبيل إلى (رب يقول) ولا إلى (قل يقول) فالحقهما (ما) واخلصوهما للفعل. ومثل ذلك: هلا، ولولا، وإلا، الزمونهن (لا) وجعلوا كل واحدة مع (لا) بمنزلة حرف واحد، واخلصوهن للفعل حيث دخل فيهن معنى التحضيض، وقد يجوز في الشعر تقديم الاسم، قال:

صدت فاطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم⁽¹⁾

وذهب ابن عصفور إلى معنى (وقلما يدوم وصال) فقدم وأخر مضطرا لإقامة الوزن، والوصال على هذا التقدير فاعل مقدم، والفاعل لا يتقدم في الكلام إلا أن يبتدئ به، وفي هذا يقول ابن عصفور: ((يريد، وقلما يدوم وصال على طول الصدود، ففصل بين قلما والفعل بالاسم المرفوع وبالمجرور))⁽²⁾

ويذكر سيبويه هذا الشاهد في موضع آخر من كتابه فيبين أثر هذا الأسلوب السيئ في ركاكة الكلام، إذا لم يحسن استعماله الشاعر، فظهر بذلك أثرا ثالثا للتقديم والتأخير على أساس كلام ابن عصفور في إعراب (وصال) فاعلا مقدما لـ(يدوم) وهو من قبيح الكلام في بعض الأشعار التي لم يوفق الشاعر بها بعد أن اضطر لذلك لضرورة الشعر والروي، فيقول: ((ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه لأنه مستقيم ليس فيه نقض فمن ذلك قوله:

صدت فاطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

وإنما الكلام: (وقل ما يدوم وصال))⁽³⁾. وتأسيسا على ما سبق فقد نص سيبويه على مواضع التقديم والتأخير وبين بعض أغراضه، فذكر ثلاث حالات يخرج إليها هذا الأسلوب، هي العناية والاهتمام، والضرورة الشعرية، وركاكة الكلام وقبحه.

وبهذه المعالجة الدلالية المتأنية سجل لسيبويه دور الريادة والأولوية في بحث تقنية التقديم والتأخير بحيث مهد السبيل للاحقية لخوض هذا المحور وتوسيع هذا المحور وتوسيع نطاق بحثه على وفق منظور جمالي فني⁽¹⁾.

(1) الكتاب: 115/3، والبيت من الطويل وهو لعمر بن أبي ربيعة، ينظر: شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق محمد محي الدين: 502، بينما نسب إلى المرار بن سعيد في كتاب شعراء أمويون تحقيق

دنوري حمودي القيسي: 480/2.

(2) ضرائر الشعر، ابن عصفور الأشبيلي، تحقيق إبراهيم محمد: 202.

(3) الكتاب: 115/3.

ولم يجد الدكتور احمد مطلوب في هذا الرأي ما يدعو إلى الاطمئنان فقال : ((إن سيبويه لم يكن إلا واحدا من الذين ذكروا بعض مسائل البلاغة بصورتها الساذجة أو لعل سيبويه عندما نثر هذه المسائل لم يقصد إلى علم غير النحو، ولم ير علما خاصا وهو علم البلاغة أو احد فنونها الثلاثة)) (2). وتابعة قسم من المحدثين في هذا الرأي (3).

ونحن لا نوافقهم الرأي تماما ؛ لأن سيبويه لم يتعامل مع أسلوب التقديم والتأخير بوصفه ظاهرة شكلية بحتة تعرض تغييرات إعرابية أو موضوعية مجردة من تغييرات دلالية ومقامية ، بل نقل الطروحات الخاصة بالهيئات الشكلية إلى آفاق رحبة تكشف مستويات التخالف الدلالي بين الصور الخطابية النمطية والصور الخطابية المحولة المستحدثة ، بانزياح عناصرها إلى هيئات شكلية جديدة

تنبئ . بإضفاء السمة الأدبية على النتائج الكلامية لتتحول من حالة البساطة إلى حالة أسلوبية راقية تتحصل فيها الطاقة الدلالية والجمالية المقتصرة على الممارسات البليغة والإبداعية ولذلك كله لا يجد المتمعن إلا الحداثة والسبق والإبداع فيما يعرضه سيبويه من اساليب التعبير عن المعاني المتعلقة بتقنية التقديم والتأخير التي تنضوي تحت علم المعاني البلاغي الذي تعزى إليه الريادة في ابتداع بذوره الأولية ومركزات اغلب مظاهره.

الفراء (ت208هـ) :

تحدث الفراء عن التقديم والتأخير في مصنفه معاني القرآن ، فنصَّ على مواضعه ، وثَّبه على العلاقات اللغوية التي تنصرف إليها دقائق المعاني في الآيات التي تتضمن وجوها من التقديم والتأخير ، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله في الآية الكريمة : ((فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا)) (4).

يقول : ((معناه فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا هذا معناه ولكنه أخر ومعناه التقديم – والله اعلم لأنه إنما أراد : لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة)) (5).

(1) ينظر : اثر النحاة في البحث البلاغي ، د. عبد القادر حسين : 129.

(2) البلاغة عند السكاكي ، د. احمد مطلوب : 80.

(3) ينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، د. قيس الاوسي : 32، وينظر : التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، حميد احمد عيسى العامري : 16.

(4) التوبة : 55.

(5) معاني القرآن ، للفراء : 442/1 .

وفي قوله جل وعلا : "إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي" (1) يفسر الفراء الآية على وجهين ، فالوجه الأول على التقديم والتأخير أي " إني متوفيك ورافعك إلي " . والوجه الثاني بإلغاء التقديم والتأخير فيقول : " إن هذا مقدم ومؤخر والمعنى فيه " إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك

بعد إنزاله إليك في الدنيا . وقد يكون الكلام غير مقدم ولا مؤخر ، فيكون معنى متوفيك : قابضك ، كما تقول : توفيت مالي من فلان : قبضته من فلان . فيكون التوفي على أخذه ورفعته إليه من غير موت ((2) .

ومن مواضع التقديم والتأخير التي ذكرها الفراء قوله تعالى : ((حتى إذا فثلتم وتنازعتم في الأمر)) (3) فيفسر المعنى ان التنازع قد تم قبل الفشل ، ويعد الواو واو السقوط ، أي تلغى من الجملة فيصبح المعنى (حتى إذا تنازعتم في الأمر ففثلتم) ويقيس الآية بإسقاط الواو في آية أخرى كما سنرى في قوله الآتي : ((يقال : انه مقدم ومؤخر ، معناه : حتى إذا تنازعتم في الأمر فثلتم ، فهذه الواو معناها السقوط : كما يقال : ((فلما اسلما وتله للجبين وناديناه)) (4) . معناه : ناديناه)) (5) .

وفي قوله تعالى : ((ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى)) (6) . يريد ((ولولا كلمة واجل مسمى لكان لزاما (مقدم ومؤخر) وهو - فيما ذكرنا - ما نزل بهم في وقعة بدر من القتل)) (7) ، أي لولا كلمة واجل مسمى سبقت من ربك لكان لزاما أن نقضي على الكفار أجمعين فجأة . لكنه اجل مكتوب عندنا .

ولم يذكر الفراء الغاية البلاغية من تقديم (الكلمة) وصفتها (سبقت) وهي التنبيه على أن تأخير (لكان لزاما) مرهون بالكلمة الإلهية السابقة أولا .

وثمة آيات ذكرها الفراء لا يبدو معناها الدقيق إلا في السياق ، منها قوله تعالى : ((ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون)) (8) . وذلك في العربية غريب ، فكيف سيتولى عن قوم بلقيس ، أي يبتعد عنهم ، ثم يأتي بخبر من عندهم إلى سليمان (عليه السلام) ؟

-
- (1) آل عمران : 55 .
 - (2) معاني القرآن : 219/1 .
 - (3) آل عمران : 152 .
 - (4) الصافات : 103-104 .
 - (5) معاني القرآن : 238/1 .
 - (6) طه : 129 .
 - (7) معاني القرآن : 195/2 .
 - (8) النمل : 28 .

إن الفراء يفسر ذلك على التقديم والتأخير ، يقول : ((وقوله (ثم تول عنهم فانظر) يقول القائل : كيف أمره أن يتولى عنهم وقد قال (فانظر ماذا يرجعون) وذلك في العربية بين انه استحثه ، فقال : اذهب بكتابي هذا وعجل ، ثم آخر (فانظر ماذا يرجعون) ومعناها التقديم . ويقال : انه أمر الهدهد أن يلقي الكتاب ، ثم يتوارى عنها ، ففعل : ألقى الكتاب وطار إلى كوة في مجلسها والله اعلم بالصواب))⁽¹⁾.

وطبقا لما تقدم فالمعنى إذن على التقديم والتأخير ، وهو (فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم) .

وقد ساق الفراء بعض الآيات القرآنية التي تحتل وجهين ، احدهما على التقديم والتأخير ، من ذلك ما قاله في قوله تعالى : ((وامراته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب))⁽²⁾. فالآية وردت في سياق الحديث عن الملائكة الذين جاؤوا إبراهيم وامراته بالبشرى لمجيء الذرية من هاجر ، وفي ذلك يقول الفراء : ((وقوله : ((فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم))⁽³⁾ ، أي : إلى الطعام وذلك إنها كانت سنة في زمانهم ، إذا ورد عليهم القوم ، فاتوا بالطعام فلم يمسه ، ظنوا أنهم عدو أو لصوص ، فهناك أوجس خيفة في نفسه ، فأوا ذلك

على وجهه ، فقالوا لا تخف ، فضحكت عند ذلك امرأته ، وكانت قائمة وهو قاعد ، وكذلك هي قراءة عبد الله : (وامراته قائمة وهو قاعد) مثبتة ، فضحكت فبشرت بعد الضحك ، وإنما ضحكت سرورا بالأمن ، فاتبعوها البشري بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، وقد يقول بعض المفسرين : هذا مقدم ومؤخر ، والمعنى فيه : فبشرناها بإسحاق فضحكت بعد البشارة ، وهو ما قد يحتمله الكلام ، والله اعلم بصوابه ، وأما قوله فضحكت : حاضت ، فلم نسمعه من ثقة))⁽⁴⁾.

وانطلاقا من هذا التوجه ، فقد ساق الفراء قول بعض المفسرين الذي خرج الكلام على التقديم والتأخير ، ثم ذكر ان ذلك قد يحتمله الكلام ، وذكر ان قوله (ضحكت) بمعنى (حاضت) لم يسمعه من ثقة ، مما يدل على أن الفراء لا يأخذ الا ممن هو ثقة . وفي موضع آخر من معاني القران يحمل الفراء لفظ (كل) على معنى الجحد ، فهي بمنزلة النكرة إذا رافقها الجحد ، ويذكر معنى بلاغيا من خلال تقديمها على أنها مفعول به أعطى معنى تأكيد عدم استثناء احد من (الإحصاء) يقول : ((وقوله : ((وكل شيء أحصيناه في إمام مبین))⁽⁵⁾. القراء مجتمعون على نصب (كل) لما وقع من الفعل على راجع ذكرها . والرفع وجه جيد ، قد سمعت ذلك من

(1) معاني القران : 291/2.

(2) هود: 71.

(3) هود : 70 .

(4) معاني القران : 21/2 و 22

(5) يس : 12.

العرب ، لان كل بمنزلة النكرة إذا صاحبها الجحد ، فالعرب تقول: هل احد ضربته ، وفي (كل) مثل هذا التأويل ، الاترى أن معناها : ما من شيء إلا قد أحصيناه)) (1) .

وهكذا وقفنا على أهم آراء الفراء في التقديم والتأخير ، وقد ذهب احد الدارسين إلى انه لم يلحظ أي تطور في نظرة الفراء إلى التقديم والتأخير

فالإعراب واللغة هما اللذان سيطرا على مفهومه اذا لم يكن في وسعه التحدث عن بلاغة المصطلح ودفعه إلى جو أرحب (2) .

وإننا نلاحظ أن الفراء قد ساق عددا من الآراء في باب التقديم والتأخير في معانيه ، ونبه في عدد من المواضع على العلاقات اللغوية في سياق التقديم والتأخير ، وكذا فانه كان يسوق الوجوه المحتملة في الآيات الكريمت ، مما يدل على غنى كتابه (معاني القرآن) .

الاخفش (ت215هـ) :

ذكر الاخفش التقديم والتأخير في مصنفه (معاني القرآن) ، فتحدث عن الآيات التي تشكل على القارئ ، والاخفش في تحليله للتقديم والتأخير يعتمد التحليل اللغوي الذي يفسر المعنى بصور جلية. من ذلك يورد الاخفش قوله تعالى : ((والسمااء رفعها ووضع الميزان)) (3) . ويقيسه على قوله تعالى : ((وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا)) (4) . فيقول : ((فهذا إنما ينصب وقد سقط الفعل على الاسم بعده لان الاسم الذي قبله قد عمل فيه ، فأضمرت فعلا فأعملته فيه حتى يكون العمل من وجه واحد وكان ذلك أحسن ، وكل هذا يجوز فيه الرفع على الابتداء والنصب أجود وأكثر)) (5)

وعند إنعام النظر في قول الاخفش نجده ينصرف الى تغليب النصب ، وبذلك يحمل معنى الآية على النصب بفعل محذوف ولا تقديم في رأيه ، ونلاحظ أن الاخفش لم يلتفت إلى المعنى البلاغي من تقديم (السمااء) وهو أهمية السمااء في

رفعها كما انه لم يحلل المعنى الذي تخرج إليه الآية الثانية من تقديم (كلا) فهو يورد الآية للقياس النحوي فقط . وبذلك يتميز الفراء من الاخفش ، فالفراء ذكر الغرض البلاغي الذي خرج إليه تقديم لفظ (كل) على الفعل وهو عدم استثناء احد من الفعل

(1) معاني القرآن 372/2.

(2) ينظر اثر النحاة في البحث البلاغي : 137 ، وينظر : التقديم والتأخير في القرآن الكريم : 19.

(3) الرحمن : 7.

(4) الفرقان : 39.

(5) معاني القرآن ، للاخفش ، تحقيق د. عبد الأمير الورد : 249/1.

(1) . ونراه في قوله تعالى : ((من هذه القرية الظالم أهلها)) (2) . يعد (الظالم) صفة (أهل) في المعنى لكنها من حيث الصناعة النحوية صفة لقرية ، وبذلك تكون صفة لشيء من سبب الأول وتكون عاملة في الاسم بعدها . اما الغرض البلاغي من تقديم الصفة (الظالم) إشارة لهذه الصفة الشنيعة في أهل القرية ، والتي كانت سببا في غضب الله عليهم . وهذا مالم يلتفت إليه الاخفش في معانيه حينما قال ((فجرت (الظالم) لأنه صفة مقدمة ما قبلها مجرور وهي لشيء من سبب الأول ، وإذا كانت كذلك جرت على الأول حتى تصير كأنها له)) (3) .

وأما المواضع الأخر التي نص عليها الاخفش في التقديم والتأخير فهي من ضروب التقديم في اللفظ والتأخير في المعنى . من ذلك يحلل قوله تعالى : ((كتاب انزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين)) (4) . فيقول : ((وقال في أول هذه السورة (كتاب انزل إليك) ، (لتنذر به) ، (فلا يكن في صدرك حرج) هكذا تأويلها على التقديم والتأخير)) (5) .

ويتابع الاخفش عرضه لمواضع هذا النوع من التقديم والتأخير فيقول : ((وفي (حم المؤمن) ((فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم)) (6) والمعنى _ والله اعلم_ (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) ، (من العلم) ، (فرحوا بما عندهم) وقال بعضهم (فرحوا بما) هو (عندهم من العلم) أي : كأن عندهم العلم وهو (جهل)) (7) .

ويأتي الاخفش بشواهد نثرية وشعرية من كلام العرب تتضمن التقديم في اللفظ والتأخير في المعنى ، أو التأخير في اللفظ والتقديم في المعنى .

وفي كلام العرب يقول الاخفش : ((ومثل هذا في كلام العرب وفي الشعر كثير في التقديم والتأخير . يكتب الرجل (أما بعد حفظك الله وعافاك فاني كتبت إليك) فقوله (فأني) محمول على (أما بعد) وإنما هو (أما بعد فاني) وبينهما ترى الكلام ... قال الشاعر :

(1) ينظر : معاني القرآن ، للفراء : 139/1.

(2) النساء : 75.

(3) معاني القرآن : 450/1 .

(4) الأعراف : 2.

(5) معاني القرآن : 520/2.

(6) غافر : 83 .

(7) معاني القرآن : 521/2 .

الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمر

ومعناه الشمس طالعة لم تكسف نجوم الليل والقمر لحزنهما على (عمر) ،
ذلك أن الشمس كلما طلعت كسفت القمر والنجوم فلم تترك لها ضوءاً ⁽¹⁾.

ثم يعود الاخفش بعد عرضه لكلام العرب ليذكر آيات اخر من التقديم والتأخير نفسه ⁽²⁾.

ونستنتج من ذلك ان الاخفش اعتمد على من سبقه فالمعاني التي ذكرها وجدناها عند الفراء الذي تميز في تحليله اللغوي حيث كان يناقش آيات التقديم والتأخير ، ويذكر في اغلب الأحيان وجهين ويناقشهما ، ثم يرجح احدهما على الآخر ، فكان ناقدا لمعنى حيناً ، مثبتاً لمعنى آخر حيناً ، وهذه الطريقة في التحليل لم نجدها عند الاخفش .

ومع ذلك نجد الفراء والاخفش قد نصا على أكثر مواضع التقديم والتأخير في المعنى لإيضاح تفسير آيات القرآن الكريم.

المبرد (ت285هـ) :

يتحدث المبرد عن التقديم والتأخير في كتابه المقتضب فيذكر ما يمتنع منه، وما يجوز ، معتمداً في تحليله للتقديم والتأخير على ركنين أساسيين هما : التقديم والتأخير على التحليل النحوي ، والتقديم والتأخير وما يجوز أو يمنعه المعنى .

أما التقديم والتأخير على القياس النحوي ، فالمبرد يقيس الأحرف المشبهة بالفعل بالأحرف لأنها لا تنصرف، فيمنع التقديم والتأخير في أسمائها وأخبارها لأنها شبيهت بالأفعال تشبيهاً ، فلم تعمل بقوة عمل الأفعال :
((ولا يجوز فيها التقديم والتأخير : لأنها لا تنصرف فيكون منها (يفعل) ولا ما يكون في الفعل من الأمثلة ، والمصادر ، فلذلك لزممت طريقة واحدة ، اذ لم تبلغ

(1) معاني القرآن : 522/2 ، البيت من البسيط وهو لجريز بن عطية الخطفي ، ينظر : ديوانه 736/2 ، البيت في الديوان (فالشمس كاسفة ليست بطالعة) .

(2) ينظر على سبيل المثال : معاني القرآن : 522/2 .

في القوة كما شبهت به فأما التقديم والتأخير ، نحو : إن منطلق زيدا ، فلا يجوز ، لأنها حرف جامد ، ولا تقول فيه فعل ، ولا فاعل ، كما كنت تقول في (كان) ، يكون ، وهو كائن ، وغير هذا من الأمثلة (((1).

ويقيس صلة الموصول على اسم الفاعل إذا دخلت عليه (ال) الموصولة فيمنع تقديم المفعول به عليه ، لأن لا الصلة ولا شيء منها تتقدم الموصول . يقول المبرد: ((لو قلت: زيدا عمرو الضارب ، لم يجز ، لأن الفعل صار في الصلة)) (2). وهذا يعني ان التقديم والتأخير يمتنع عند المبرد إذا اخل بالمعنى ويجيز المبرد تقديم خبر (كان) على اسمها (توسط خبر كان بين كان واسمها) دون أن يذكر المعنى الذي يكمن وراء هذا التقديم ، فيقول : ((تقول: كان منطلقا عبد الله ، وكان منطلقا اليوم عبد الله ، وكان أخاك صاحبنا ، وزيد كان قائما غلامه، كذلك أخوات كان)) (3). وفي تقديم خبر (كان) عليها نراه يورد أمثلة نثرية ، ثم يؤكد بها بآيات قرآنية يقول : ((وكان : فعل متصرف يتقدم مفعوله ويتأخر ، ويكون معرفة و نكرة ، وأي ذلك فعلت صلح ، وذلك قولك : كان زيد أخاك ، وكان أخاك زيد ، وأخاك كان زيد)) (4). ثم يحتج على تقديم خبر (كان) على اسمها ، بقوله تعالى : ((وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) (5) ، وقوله جل وعلا: ((أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم)) (6) .

وكذلك نرى المبرد يعتمد على المعنى الذي يخرج عن طريق سياق الجملة في استعمال المصدر ، وذلك عندما يتحدث عن عمل المصدر ، فيجيز التقديم والتأخير في عمل المصدر ، إذا لم يكن في معنى (ان) وصلتها ، فينعم النظر فيما يمكن أن يكون من التقديم والتأخير وما لا يكون ، فالصلة يجب أن تأتي بعد موصولها ، ولا يجوز أن تتقدم لأن ذلك يخل في بناء الجملة ، أما إذا لم يكن المصدر في معنى (أن) وصلتها فيجوز أن يعمل المصدر عمل فعله ، فقدمت فيه وأخرت ، يقول : ((أعجبنى اليوم ضرب زيد عمرا . إن جعلت (اليوم) نصبا بأعجبنى فهو جيد ، وإن نصبته بالضرب كان محالا ، لأن الضرب في معنى (ان فعل) و (ان يفعل) ، فمحال أن ينصب ما قبله لأن ما بعده في صلته ، ولا يعمل إلا فيما كان من تمامه ، فيصير بعض الاسم ، ولا يقدم بعض الاسم على أوله ، فإن لم يكن في معنى ان وصلتها أعملته عمل الفعل إذا كان نكرة مثله ، فقدمت منه وأخرت . وذلك قولك : ضربا زيدا ، وإن شئت قلت : زيدا ضربا ، لأنه ليس في معنى (ان) ، إنما هو أمر فقولك :

(1) المقتضب ، للمبرد ، تحقيق ، محمد عبد الخالق عزيمة : 109/4 .

(2) المصدر نفسه : 156/4 .

(3) المقتضب : 89-88/4 .

(4) المصدر نفسه : 87/4 .

(5) الروم : 47 .

(6) يونس : 2 .

(ضرباً زيدا) ينتصب بالأمر ، كأنك قلت : اضرب ، إلا انه صار بدلا من الفعل لما حذفته⁽¹⁾ .

وتأسيسا على هذا فالمصدر عندما يكون معناه معنى الأمر عمل عمل فعله وجاز فيه التقديم والتأخير .

ويجيز المبرد تقديم الحال وتأخيرها بشرط أن تكون نكرة فيقول : ((واعلم أن الحال إذا كان العامل فيها فعلا صحيحا جاز فيها كل ما يجوز في المفعول به من التقديم والتأخير إلا أنها لا تكون إلا نكرة ، وإنما جاز ذلك فيها ، لأنها

مفعولة ، فكانت كغيرها مما ينتصب بالفعل ، تقول : جاء راكبا زيد ، كما تقول : ضرب زيدا عمرو⁽²⁾ .

ويتحدث المبرد عن تقديم الاستثناء على المستثنى منه ، ويمنع إعرابه بدلا لان البذل عندما يأتي في الجملة يجب أن يسبقه ما يبذل منه ، وفي الاستثناء لا يوجد - إذا ما تقدم الاستثناء - ما يبذل منه فلا يجوز إعرابه بدلا ، فالمبرد يؤكد رأي الخليل وسيبويه فيما قالاه حول تقديم الاستثناء على المستثنى منه⁽³⁾ ، وفي ذلك يقول المبرد في باب ما لا يجوز فيه البذل : ((وذلك الاستثناء المقدم ، نحو : ما جاءني إلا زيدا احد ، وما مررت إلا زيدا بأحد . وإنما امتنع البذل ، لأنه ليس قبل زيد ما تبذل منه ، وصار الوجه الذي كان يصلح على المجاز لا يجوز ههنا غيره ، وذلك انك كنت تقول : ما جاءني احد إلا زيد ، وتجزئ : ما جاءني احد إلا زيدا فلما قدمت المستثنى بطل وجه البذل ، فلم يبق إلا الوجه الثاني⁽⁴⁾ .

ابن جني (ت395هـ) :

ثم وصلنا إلى ابن جني فوجدناه قد افرد في كتابه الخصائص فصلا عن التقديم والتأخير ، وقسمه على ضربين ، الأول ما يقبله القياس ، والثاني ما يسهله الاضطرار⁽⁵⁾ .

وفصل ابن جني في التقديم والتأخير بما يقبله القياس ويورد الأمثلة عليه ((كتقديم المفعول على الفاعل تارة وعلى الفعل الناصبة أخرى ، كضرب زيدا عمرو) ، و(زيدا ضرب عمرو) ، وكذلك الظرف، نحو : قام عندك زيد، وعندك قام

(1) المقتضب: 157/4.

(2) المقتضب: 168/4.

(3) ينظر: الكتاب: 335/2.

(4) المقتضب: 397/4.

(5) ينظر الخصائص ، لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار : 382/2.

زيد ، وسار يوم الجمعة جعفر ، ويوم الجمعة سار جعفر . وكذلك الحال ، نحو : جاء ضاحكا زيد ، وضاحكا جاء زيد ، وكذلك الاستثناء نحو ما قام إلا زيدا أحدا ((⁽¹⁾). وقد وجدنا مثل هذه الآراء في التقديم والتأخير عند المبرد في حديثه عن المفعول به والحال والاستثناء (⁽²⁾).

إن ابن جني يناقش حالات التقديم والتأخير معتمدا على قياس كل حالة بما يناسب كلام العرب ، ويتابع في منع التقديم وجوازه ، فكما منع المبرد تقديم الصلة على الموصول يمنع ابن جني ذلك وغيره ، فيقول : ((ولا يجوز تقديم الصلة ولا شيء منها على الموصول ، ولا الصفة على الموصوف ، ولا المبدل على المبدل منه ، ولا عطف البيان على المعطوف عليه ، ولا العطف الذي هو نسق على المعطوف عليه ، إلا في الواو وحدها ، وعلى قلته أيضا ، نحو : قام عمرو وزيد وأسهل منه ضربت وعمرا زيدا ، لأن الفعل في هذا قد استقل بفاعله ، وفي قولك : قام و عمرو زيد ، اتسعت في الكلام قبل الاستقلال والتمام ، ... وقد جاء في الشعر قوله :
قلت إذ أقبلت وزهر تهادي كنعاج الملا تعسفن رملا

وذهب بعضهم في قوله تعالى : ((فاستوى . وهو بالأفق الأعلى)) (⁽³⁾). إلى أن هو معطوف على الضمير في استوى ((⁽⁴⁾).

وينهي ابن جني كلامه في التقديم والتأخير ، فيقول : ((فهذه وجوه التقديم والتأخير في كلام العرب . وان كنا تركنا منها شيئا فانه معلوم الحال ، ولاحق بما قدمناه)) (⁽⁵⁾).

على أن ابن جني طور رأيه في أمر التقديم والتأخير حين إلف كتابه (المحتسب) ، وقد يستغرب المرء أن يجد اهتمامه هنا منصبا أكثر شيء على بلاغة التقديم والتأخير بعد أن لم يجد لهذا الاهتمام في (الخصائص) ميزة تذكر . ولنا أن نعد رأيه هنا الرأي الراجح ، لأنه كان المتأخر زمنيا . وهو رأي ربما أفاد منه اللاحقون كثيرا بما لم يكن لهم عليه مزيد ، وذلك سنوضحه بعد قليل .

ربط ابن جني في بحثه هنا اللغة والإعراب بالمعنى الأصح ، ففي قوله تعالى : ((ذكر رحمه ربك عبده زكريا)) (⁽⁶⁾). ذكر فيه قراءة أخرى على التقديم والتأخير فيجيز كما أجاز الكوفيون تقديم الفاعل على الفعل ، فيقول : ((ومن ذلك قراءة الحسن أيضا : ((ذكر رحمه ربك)). فاعل ذكر ما تقدم ، أي : هذا أملتو من القرآن الذي هذه

(1) الخصائص : 382/2.

(2) ينظر : المقتضب : 156/4 ، 168/4 ، 397/4.

(3) النجم : 6-7 .

(4) الخصائص : 386/2 ، والبيت من الخفيف ، وهو لعمر بن أبي ربيعة ، ينظر : ديوانه : 498.

(5) الخصائص : 390/2.

(6) مريم : 2.

الحروف أوله وفاتحته يذكر رحمة ربك ،فهو كقوله تعالى :((إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم))⁽¹⁾ ، وعلى هذا أيضا يرتفع قوله تعالى : ((ذكر رحمة ربك)) أي ان هذا القرآن ذكر رحمة ربك ، وان شئت كان تقديره : مما يقص عليك ، أو يتلى عليك ذكر رحمة ربك عبده زكريا))⁽²⁾ .

وتبعا لما سبق فابن جني في هذا المقام وجه القراءة المثبتة ، وقراءة الحسن ، وربطهما بأوائل السور الكريمة .

واشار ابن جني إلى ناحية من التقديم تميز بها عمن سبقه ، وان كان سيبويه قد أشار إليها بأسلوب آخر ، وهي حالة بناء الفعل للمجهول وحذف فاعله

وتقديم المفعول به إلى مكان الفاعل ، فيقول في قوله تعالى : ((يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد))⁽³⁾ . وقرأها ابن مسعود والحسن (يوم يقال لجهنم) قال أبو الفتح ابن جني : ((هذا يدل على ان قولنا : ضرب زيد ، ونحوه لم يترك ذكر الفاعل للجهل به ، بل لان العناية انصرفت إلى ذكر وقوع الفعل بزید ، عرف الفاعل به أو جهل ، لقراءة الجماعة (يوم نقول) ، وهذا يؤكد عندك قوة العناية بالمفعول به ، وفيه شاهد وتفسير لقول سيبويه في الفاعل والمفعول به : وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم . ومن شدة قوة العناية بالمفعول ان جاءوا بأفعال مسندة إلى المفعول ، ولم يذكروا الفاعل معها أصلا ، وهي نحو قولهم : امتقع لون الرجل وانقطع به ، وجن زيد. ولم يقولوا : امتقعه ولا أنقطعه ، ولا جنه ، ولهذا نظائر فهذا كإسنادهم الفعل إلى الفاعل البتة فيما لا يتعدى ، نحو قام زيد ، وقعد جعفر))⁽⁴⁾ .

وطبقا للمثال السابق فابن جني يقيس الكلام على كلام العرب ، ويبين النظائر لذكر الأهم معتمدا على الفعل المبني للمجهول .

ومما سبق يظهر عمق التحليل اللغوي لظاهرة التقديم والتأخير عند ابن جني ، فقد تبين ما أفاده هذا الأسلوب أو ذاك من تقوية للمعنى ، أو اهتمام وعناية..... وبعد: فهذا رأي أبي الفتح ابن جني ومن سبقه من اساطين اللغة في التقديم والتأخير . وسنعرف في ما يأتي أهم آراء البلاغيين في التقديم والتأخير .

(1) الإسراء: 9.

(2) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف ، د.عبد الحليم النجار ، ود.عبد الفتاح إسماعيل 37/2.

(3) ق: 30.

(4) المحتسب: 284/2.

رأينا فيما سبق أهمية التقديم والتأخير بوصفه ظاهرة لغوية أكسبت اللغة مرونتها ، وطواعيتها ، فهي تسمح للمتكلم أن يختار من التراكيب المحتملة للغة ما يمنح موقفه الفكري والوجداني خصوصيته وتفردته وتتجلى فاعلية التقديم والتأخير في إعطاء اللغة جدة وآفاقا واسعة للتعبير عن المعنى ، مما يكسب التركيب الدقة في تصوير مواطن الشحن العاطفي وتطور المعنى ، وكذلك لا تغيب عنا الصلة الوثيقة بينه وبين التغيرات التي تطرأ على النظام اللغوي عامة ، فقد رأينا كيف وضع النحويون أصول ترتيب الجملة ، فأوضحوا ما يجوز منها وما يجب ، ثم جاء البلاغيون فحافظوا على هذه الأصول لتكون انموذجا يقيسون عليه كل انحراف لغوي ، ولما وجدوا أن هذا الانحراف لا يبرز إلا تحت وطأة المواقف الانفعالية أدركوا أهمية هذه الظاهرة ، فأولوها عنايتهم بدءا بعبد القاهر الجرجاني -الذي حمل لواء الاتجاه الأدبي في الدراسات اللغوية- مرورا بالزمخشري والسكاكي وابن الأثير وغيرهم ، وقد رأينا ان نناقش تطور هذه الظاهرة عند هؤلاء فقط ، بسبب أهمية الجهود التي قدموها .

أبن سنان الخفاجي(ت466هـ) :

ولم يتعرض لظاهرة التقديم والتأخير على أنها أسلوب بلاغي يعطي الكلام حسناً ومزيه ، بل راح يستعرض نماذج شعرية أخل التقديم والتأخير بنظام تأليف كلماتها، فأورثها التعقيد القبيح ، وقد أستمد أغلب هذه الشواهد من كتب النحويين الذين حملوا هذه الظاهرة على الضرورة الشعرية ، بيد أن الخفاجي لاحظ أن الفرزدق كان يعتمد هذا الأسلوب ويقصده ، ويعتقد حسنه⁽¹⁾، من ذلك قوله⁽²⁾ : (البيت من الطويل)

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه

الأصل : ((وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكاً أبو أمه وأبوه يعني هشاماً لأن أبا أمه أبو الممدوح))⁽³⁾ .

وقد وجد أبن جني أن هذا الأسلوب على قبحه وخرقه لأصول اللغة، ليس دليلاً على ضعف لغة الشاعر أو قصوره على الوجه الناطق بفصاحته ، وإنما يختاره الشاعر، وهو يسترسل واثقاً من علم سامعه بمراده، جارياً وراء طبعه لأنسه بعلم

(1) ينظر : سر الفصاحة، أبن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي :126 .

(2) ديوان الفرزدق ، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي : 108/1 برواية (الاملك) .

(3) سر الفصاحة : 125 .

غرضه، وسفور مراده فكأنه لم يرتكب صعباً، وقد يجد الشاعر فيه مجالاً لإظهار سموه وتغطفه وبأوه وتعجرفه ولكن لا يقاس عليه (1) .

فابن جني يغل هذه الظاهرة عبر المرسل والمتلقي، بيد أنه لا يقيس على هذا الأسلوب ، لأنها ظاهرة خاصة بين اثنين .

ويورد ابن سنان الخفاجي أمثلة لكبار الشعراء مثل عروة بن الورد والمتنبي وغيرهم (2) .

وهكذا نلاحظ أن تناول الخفاجي لهذه الظاهرة ، كان تناولاً يسيراً، اعتمد فيه آراء النحويين وأمثلتهم ، فنحن قد نوافقه في بعض الأبيات التي أصابها التعقيد ما أصابها عن طريق التقديم والتأخير ، نحو بيت الفرزدق السابق، ولكن هناك أبيات

كان التقديم والتأخير فيها جميلاً، بيد أن الخفاجي أدرجها ضمن الأبيات التي أعابها التقديم والتأخير مثل قول المرار بن سعيد الأسدي :

صدت فأطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

وعند إنعام النظر في قول المرار نجد أن التقديم قد تلائم مع شدة انفعال الشاعر ، وتأثره لطول الصدود، لذا فإن عقله أنصرف إلى ما يشغله، فقدم ما يهتم له وهو (قلة وصال) عن المعنى المراد، وكشف عن أغلب نواحيه وذلك لدلالة الكلام السابق (صدت فأطولت الصدود) ، وعندما يتلقى المتلقي بقية البيت (على طول الصدود يدوم) وهو يتوقعه، فلا يجد عناءً في إدراك المعنى، وبالتالي يستطيع أن يتمثل المعنى جيداً .

عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) :

درس عبد القاهر الجرجاني التقديم والتأخير في كتابه (دلائل الإعجاز) ولما كان منهجه يقوم على العناية بنظام الكلمات ، فقد كان بديهياً ان يولي باب التقديم والتأخير اهتمامه ، وبخاصة أن الفروق المعنوية التي عني بها كانت اظهر

(1) ينظر : الخصائص : 392/2-393 .

(2) ينظر : سر الفصاحة : 125 ، 126 ، 127 .

في هذا الباب ، اذ تتجلى مرونة العربية وطواعيتها لدقائق المعاني المختلفة ، فتسمح بكثير من حالات الانحراف اللغوي التي تولد اللغة الأدبية ، فالكلام عند عبد القاهر الجرجاني لا يسمى إلا بهذه المرونة ، لان التركيب الذي لا يحتمل إلا الوجه الذي هو عليه ولا يحتاج إلى

فكر ورويه هو تركيب لا فضل فيه ولا مزيه (1) ، وكانت دراسة عبد القاهر الجرجاني تعتمد على النحو في المقام الأول ، فلا يستقيم الكلام إلا بمراعاة النحو ، فيقول : ((واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها)) (2) .

واعتمد عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز على منهجا يستند على أساس النظر إلى الجملة أنها بناء واحد لا نستطيع فصل بعضه عن بعض ، اذ كل جملة خرجت على لسان الأديب ركبت بأسلوب منفرد او مميز و كل كلمة فيه ترتبط بالأخرى ليظهر المعنى داخل السياق ، وفصاحة الكلمة إنما تأتيها من ((مكانها من النظم ، وحسن ملائمة معناها لمعنى جاراتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها)) (3) ، فالنظم عند عبد القاهر الجرجاني ليس في الألفاظ ولا في المعاني ولا في حركات الأعراب بل ، في اتحاد أجزاء الكلم ، والنظم قانون غير محصور ، يعطي اللطائف باستمرار عبر ما يفرزه السياق ، ويفيده الاستخدام .

وفي دراسة الجرجاني للنظم يعود إلى النحو ، ويرى أن تمام القول في نظم الكلام لا يأتي إلا عن طريق توخي معاني النحو : ((لا معنى للنظم غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم ... وأنك إن عمدت إلى ألفاظ فجعلت تتبع بعضها بعضاً من غير أن تتوخي فيها معاني النحو ، لم تكن صنعت شيئاً تدعى به مؤلفاً ،

وتشبهه معه بمن عمل نسجاً أو صنع على الجملة صنيعاً ، ولم يتصور أن تكون قد تخيرت لها المواقع)) (4) .

ومعنى هذا أنه على الناظم أن يتوخي معاني النحو ، لكن هذه المعاني تختلف على وفق الاختبار ، وظاهرة الاختيار في النحو تقوم عليها نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ، فهو يعتمد على النحو ، ولكن الكلام يختلف من ناظم إلى آخر

(1) ينظر: دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر : 83.

(2) دلائل الإعجاز : 81 ، وينظر : رؤى بلاغية في النقد والأسلوبية ، د.ماهر مهدي هلال : 13 ، وعبد القاهر الجرجاني والبلاغة العربية ، د.محمد عبد المنعم الخفاجي : 139.

(3) دلائل الأعجاز : 44.

(4) دلائل الأعجاز : 370 - 371 ، وينظر : إشكاليات القراءة والتأويل ، د. نصر حامد أبو زيد : 162 ، وينظر ، علم الدلالة - دراسة وتطبيقاً ، د. نور الهدى لوشن : 45.

بحسب اختياره لتقديم لفظ على آخر أو تأخير ، فهو يتخير في نظمه للشعر أو النثر ما يلاءم حاجاته البلاغية، من دون أن يخل بالمعنى الذي يخرج إليه النحو، فعبد القاهر الجرجاني بذلك يبرز مستوى الإبداع الذي يتجلى في النظم بأفاق رحبة غير محدودة يظهر عبرها التمايز بين إبداع وآخر، فلم يعد النحو عنده علم الأعراب والبناء ، بل أصبح دالاً على العلاقات النحوية بين مفردة ومفردة، وبين جملة وجملة ، والمعنى الذي يفرزه السياق عبر استخدام أو آخر.

وقد نبه عبد القاهر الجرجاني على أهمية التقديم والتأخير في بناء النظم القراني وإعجازه ووصفه ((بأنه باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان)) (1) .

وعلى هذا لم يقف عبد القاهر الجرجاني بالتقديم والتأخير عند الحدود التي وقف عندها النحويون، بل تتبع المعنى في التراكيب المختلفة، لرصد أدق الفروق والأغراض البلاغية (2) ، التي لم ينتبه إليها النحاة، فقد أختص عبد القاهر الجرجاني بدراسة تركيب الكلمة داخل الجملة على وفق المعنى المطلوب للشعراء أو النثر، فلم يستطع النحويون تتبع دقائق المعنى كما فعل هو، مما جعله يزري على النحاة في نظرهم إلى التقديم والتأخير من حيث أنهم قصرُوا أمره على العناية فحسب، من غير أن يوضحوا من أين كانت تلك العناية وبم كان أهم ؟ فضلاً عن ذلك فإن عبد القاهر الجرجاني قد لحظ عليهم أنهم لا يتغلغلون إلى معرفة دقائق الكلام، والفروق بين التراكيب (3) .

بينما كانت هذه الجوانب عند عبد القاهر الجرجاني عناصر مهمة وبارزة من عناصر الموقف اللغوي، فضلاً عن إحساسه بجمال التقديم والتأخير ففي قوله تعالى : ((وجعلوا لله شركاء الجن)) (4) . يبرهن على صدق إحساسه هذا، فتقديم الشركاء، وهو مفعول أول للفعل (جعل) على المفعول الثاني (لله) أفاد أن يقع الإنكار على وجود الشركاء إنكاراً قاطعاً من غير اختصاص شيء دون شيء لأن (الجن) مفعول

(1) دلائل الأعجاز : 106 .

(2) ينظر : قضايا النقد الأدبي، د. محمد زكي عشموي : 312-313 .

(3) ينظر: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، د. عبد الفتاح لاشين : 140، وقواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، د. سناء البياتي : 21-22، والبلاغة العربية – مقدمات وتطبيقات ، د. عيسى باطاهر : 111 .

(4) الأنعام : 100 .

به لكلام محذوف تقديره : (فمن جعلوا شركاء لله ؟ فقل (الجن)، أما في حالة تأخير الشركاء في قولنا : ((وجعلوا الجن شركاء لله)) كان (الجن) مفعولاً أول، و(شركاء) مفعولاً ثانياً أختص بالجن دون غيرهم، وبالتالي لا يكون الإنكار مطلقاً فإن تقديم الشركاء يفيد معنى وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غير الجن (1) .

أذن فالآية الكريمة بهذا التقديم أفادت معنيين، أولهما : الأخبار بعبادتهم الجن مع الله جل وعلا وثانيهما : تنزيه الله عن الشريك أي شريك كان (2) .

وقد ميز الجرجاني بين نوعي التقديم والتأخير، فالتقديم عنده نوعان (3) :
أ- تقديم على نية التأخير، وفيه يحتفظ الشيء المقدم بحكمه الأعرابي الذي كان عليه، نحو تقديم الخبر على المبتدأ والمفعول على الفاعل (ضرب عمرأ زيد) (4) .

ب- تقديم لا على نية التأخير، وفيه ينقل الشيء عن حكمه الأعرابي إلى حكم آخر، نحو : ضربت زيداً وزيداً ضربته (5) .

إلا أنه لم يلتزم بهذا التقسيم عند تناوله لهذه الظاهرة، بل تناولها على وفق السياقات الآتية : الاستفهام ، النفي ، الخبر المثبت ، والحرص ، وهو ما سنوضحه في الفصل الثالث إن شاء الله .

هذه هي فلسفة عبد القاهر الجرجاني ، وإن كان علماء اللغة من بعده لم قد ادركوا مرامه في هذا الموضوع ((فتتبعوا كل تعبير رصدوا فيه تقديماً أو تأخيراً وجعلوه سياقاً قائماً بذاته ، ثم قسموا هذا التقديم إلى ما يتصل بالمسند إليه وما يتصل بالمسند، وما يتصل بمتعلقات الفعل)) (6) .

ومن هنا نرى أن التقديم والتأخير عند عبد القاهر كان له صدى جمالي في بعض المواقف التي أرتفع فيها فوق منطقية العلم، فضلاً عن أنه أدرك تماماً أن

(1) ينظر دلائل الأعجاز : 286، وينظر : أسلوبية النظم البلاغية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، نجود هاشم شكري: 132 .

(2) ينظر : النقد والدراسة الأدبية، د. حلمي مرزوق : 137 .

(3) ينظر : دلائل الأعجاز : 106 .

(4) ينظر : المصدر نفسه : 106 .

(5) ينظر : المصدر نفسه : 107 .

(6) البلاغة والأسلوبية : 252 .

((الخبر وجميع الكلام معانٍ ينشئها الإنسان في نفسه ويصرفها في فكره ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض)) (1) .

يضاف الى ذلك انه قد اتضح للمتخصصين المنهج اللغوي الذي حاول عبد القاهر الجرجاني من خلاله أن يقترب من طبيعة الأدب ، وذلك عن طريق التوحيد بين النحو والبلاغة مما يلزم الباحث أن يرتبط بالعمل الأدبي من خلال السياق اللغوي والمعنوي (2) ، وفي هذا الإطار لا يسعنا إلا أن نجعل من منهجه أرضية صلبة في مجال الدارسة البلاغية لأنه يجري أحدث ما توصلت إليه الدراسات المعاصرة

الزمخشري (ت538هـ) :

وانطلاقاً من نظرية النظم وائتلاف المعاني والتراكيب داخل السياق العام، وسع الزمخشري دائرة البحث البلاغي في التقديم والتأخير ، حين راح يتحسس المعاني البلاغية المتنوعة التي تتولد عن نظام ترتيب الكلام وتأليفه . وقد اعتمد الزمخشري عند دراسته التقديم والتأخير في تفسيره على علم النحو، فقد كان علم النحو أحد الركائز التي اعتمد عليها لبناء مواقفه البلاغية والوجدانية .

وعندما فسر سورة (الفاتحة) في بداية الكشف تكلم على تقديم المفعول به في قوله تعالى : ((إياك نعبد وإياك نستعين)) (3). ويقف عند الغرض البلاغي، فتقديم المفعول (إياك) لغرض الاختصاص (4) .

صحيح أن النحو كان عند الزمخشري ركيزة هامة، تدعم آراءه وتثبتها، إلا أن هذا لم يمنعه أن يمد ذوقه إلى مظاهر أخرى للتقديم، تقوم على مراعاة المقام والسياق وترتبط بما يمليه العقل، من ذلك قوله تعالى : ((وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير)) (5) .

قال الزمخشري: ((فإن قلت : لم قدمت الجبال على الطير ؟ قلت : لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة، وأدخل في الإعجاز، لأنها جماد والطير حيوان، إلا أنه غير ناطق)) (6) .

(1) دلائل الأعجاز : 528 .

(2) ينظر : قضايا النقد الأدبي : 370-371

(3) الفاتحة : 5 .

(4) ينظر : الكشف : 30/1 .

(5) الأنبياء : 79 .

(6) الكشف : 580/2، وينظر على سبيل المثال لا الحصر : 71، 425، 309/3 .

وقد يقوم التقديم على مدى القرب الوجداني للمتقدم، من ذلك قوله تعالى : ((يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه)) (1) ، فقد بدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبه والبنين (2) .

ولشدة إحساسه ببلاغة التقديم والتأخير فقد تخطى حدود الجملة المفردة إلى تذوق مدلول يوضح الجملة داخل السياق العام، ومن ذلك قوله تعالى : ((فمن شرب منه فليس مني، ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده)) (3) ، يقول : ((فإن قلت : مم أستثنى قوله (الأمن اغترف) ؟ قلت : من قوله (فمن شرب منه فليس مني)، والجملة الثانية في حكم المتأخرة إلا أنها قدمت للعناية)) (4) .

واعتماداً على ما تقدم نجد أن المواقف البلاغية عند الزمخشري خصبة، اعتمد فيها على ذوقه وانفعاله الوجداني فقد حاول أن يعطي لكل حالة لبوسها الذي يناسبها ((فأبتعد عن طريقة الجرجاني الذي يسعى إلى وضع القوانين والقواعد البلاغية التي يمكن أن تندرج على ما يماثلها من حالات وتراكيب)) (5) .

إلا أن وقفات الزمخشري لم تشمل كل ما حواه النص القرآني من حالات الظاهرة البلاغية فكثيراً ما كان يمر بتراكيب بلاغية فلا يتناولها بالتحليل متناسياً ما فيها من ثراء، وذلك في غمرة انشغاله بمسألة لغوية أو نحوية أو دينية جرياً وراء المعنى الواضح، وكأنه لم يأخذ برأي عبد القاهر الجرجاني حين نبه على أنه من الخطأ القول بفائدة التقديم في بعض الكلام وعدم فائدته في بعض ((لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى)) (6) .

السكاكي (ت626هـ) :

أن الجانب المنطقي ليطغى ويهيمن على فكر السكاكي في باب التقديم والتأخير، حتى يبتعد به عن ذوق اللغة الأدبية، فيبدو وكأنه يقعد أسلوب التقديم والتأخير، فبدأ يضع القواعد الأساسية والمسميات الخاصة به.

نلاحظ عند السكاكي في باب التقديم والتأخير أنه ذكر المعاني البلاغية بحثاً عما وراء هذا الأسلوب من معاني خفية، فقال : ((والتخصيص لازم للتقديم، ولذلك تسمع

(1) عبس : 34 .

(2) ينظر : الكشف : 220/4 ، وينظر على سبيل المثال : 330/1 ، 434/12 ، 187/4 .

(3) البقرة : 249 .

(4) الكشف : 381/1 .

(5) عبد القاهر الجرجاني (بلاغته ونقده)، د. أحمد مطلوب : 203 .

(6) دلائل الأعجاز : 110 .

أئمة علم المعاني في معنى قوله تعالى : ((إياك نعبد وإياك نستعين))⁽¹⁾. يقولون : نخصك بالعبادة ولا نعبد غيرك، ونخصك بالاستعانة منك لا نستعين أحداً سواك⁽²⁾.

ويناقش السكاكي التقديم والتأخير معتمداً على هدف المبدع وحالته النفسية، ومدى جمال هذا التركيب لدى المتلقي، فيذكر التقديم للعناية والاهتمام بشأن المتقدم، نحو قولنا: وجه الحبيب أتمنى، فقدمنا المفعول به (وجه الحبيب) لأنه هو الذي يشغل بال المبدع ويهتم به⁽³⁾.

والسكاكي في حديثه عن التقديم والتأخير يعتمد على المنطق والفلسفة آخذاً عن سبقه- ولا سيما الجرجاني- ما كان له صدى في نفسه وفكره وما كان يوافق منهجه المنطقي، لذا كثرت التراكيب المفترضة عنده، وكثر القياس والجدل المنطقي الذي قضى على الجوانب الفنية والجمالية في التعبير، مما أذن بتوقف التيار البلاغي الذي أسسه الجرجاني لتصبح قواعد السكاكي أصولاً لا بد لكل منشيء من إتقانها.

صحيح أن الجرجاني كان قد ولج باب المنطقية في دراسة ظاهرة التقديم والتأخير، لكن تذوق اللغة وتحسس مواطن جمالها لم يغيب طويلاً عن وجدانه، أما السكاكي، فكان ذوقه غائباً من ساحة بحثه، ولا سيما عندما تناول هذه الظاهرة، فقد وجدناها منثورة بين ثنايا تقسيماته لعلم المعاني فهو لم ((يخرج عما كتب عبد

القاهر الجرجاني في التقديم والتأخير إلا في بعض القضايا اليسيرة والأمور الجزئية))⁽⁴⁾.

أبن الأثير (ت637هـ) :

استطاع ابن الأثير أن يبعد عن أبحاثه شبح المنطق والفلسفة ليجل محله التذوق الأدبي، فقد قال في باب التقديم والتأخير : ((وهذا باب طويل عريض، يشتمل على أسرار دقيقة، منها ما استخرجته أنا، ومنها ما وجدته في أقوال علماء البيان))⁽⁵⁾.

لكن الروح النحوية ظلت تكمن في اثناء دراسته على الرغم من غياب الجدل المنطقي وما يتبعه من تراكيب مفترضة، فالنزعة التعليمية فرضت عليه نوعاً من الالتزام بالتقسيم النحوي أحياناً نحو تقديم المفعول، والخبر والظرف، والحال⁽⁶⁾.

(1) الفاتحة : 5 .

(2) مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق أكرم عثمان يوسف : 440 .

(3) ينظر : المصدر نفسه : 443 .

(4) البلاغة عند السكاكي، د. احمد مطلوب : 215، وينظر التقديم والتأخير في القرآن الكريم : 51 .

(5) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبن الأثير، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد : 35/2 .

(6) ينظر : المثل السائر : 40-35/2 .

وكان من آثار هذه النزعة أيضاً تلك الطريقة التي اتبعتها في عرض آرائه، إذ كان يمثل الحالة المدروسة بمثالٍ سهل يجعله نموذجاً، ثم يستعرض ما يماثله من تراكيب بليغة، استمد أكثرها من القرآن الكريم، وقد قسم ظاهرة التقديم والتأخير على ضربين. الأول يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أخرج المقدم أو قدم المؤخر لتغيير المعنى⁽¹⁾، أما الآخر فهو يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك، ولو أخرج لما تغير المعنى⁽²⁾.

الملخص :

وهكذا فإن الدراسة المتتبعة تأريخياً للتقديم والتأخير نحويّاً وبلاغياً أظهرت لنا أن سيبويه قد وضع أول قاعدة بلاغية في التقديم والتأخير عندما تكلم على الاهتمام والعناية في المفعول والفاعل.

أما الأخفش والفراء في تفسيريهما للقرآن فقد تميزا في النص على مواضع التقديم والتأخير في القرآن الكريم، وتميز الفراء عن الأخفش بذكر عرض التوكيد البلاغي، ثم جاء المبرد ووضع قواعد التقديم والتأخير معتمداً إبراز المعنى دون الالتفات إلى الناحية البلاغية، وبرز بعده ابن جني بوصفها ظاهرة فريدة في دراسته للتقديم والتأخير، والالتفات إلى دقائق الكلام عن طريق هذا الأسلوب، وظهر بعد ذلك الجرجاني فتميز عن غيره ممن سبقه، فضلاً عن أنه وضع قواعده البلاغية على أساس توخي معاني النحو، فربط بين المعاني والبلاغة والنحو.

ومن ثم رأينا ابن سنان الخفاجي قد أورد آراء في التقديم والتأخير، وقايسها على نماذج شعرية قد أخل في بعضها هذا الأسلوب بالمعنى، وتابع الزمخشري في تفسيره للقرآن الكريم، بذكر حالات التقديم والتأخير القرآنية، وتابعه السكاكي فوضع المسميات للتقديم والتأخير البلاغي.

إن العلاقة بين سيبويه ومن أتى بعده هي علاقة تطور علمي تاريخي، ولا نستطيع أن نفصل مرحلة من المراحل عن المرحلة أخرى، إذ إن لكل علم من اعلام اللغة في المرحلة السابقة أثر فيمن تلاه في المرحلة اللاحقة بشكل من الأشكال، لأن تطور أي علم هو عبارة عن تراكم علمي عبر السنين.

(1) ينظر : المثل السائر : 35/2 .

(2) ينظر المصدر نفسه : 43/2 .

الفصل الثاني

التقديم والتأخير عند النقاد القدامى والمحدثين

مدخل :

يقوم التقديم والتأخير بدور رئيس في تأسيس جمالية للخطاب النقدي من خلال تلك التنويعات اللغوية التي يحدثها عبر التموجات اللغوية التي تعطي للمنشئ طوعية في التعبير، وتوصل إلى المخاطب المعنى المراد، فقد تأسس الخطاب النقدي ، عند النقاد بانتهاك النظام اللغوي على الانزياح ، و التقديم والتأخير أحد أشكال الانزياح المسمى بـ الانزياح التركيبي أو الانزياح الموضوعي⁽¹⁾، الذي شكل قيمة جمالية للقراءات التي قدمها النقاد، فقد أبانوا عن التحول الذي أصاب اللغة العربية بتحولها من النفعية إلى الجمالية، فأتسم بطابع جمالي فني يقوم على أساس دراسة أنماط التعبير في انحرافها عن المستوى الجمالي وخروجها عن الصياغة العادية المألوفة والمعتادة والمعتمدة على منطقية الأداء ، إنها إبداع لصيغ لغوية ، وصور فنية.

فقد أرتبط مفهوم الانزياح عند القدماء بالأدوات التي قرئ بها النص القديم والمتعلقة أساساً بالتقديم والتأخير، أو لنقل بعلوم البلاغة عموماً.

واتخذت الدراسات النقدية الحديثة مفهوم الانزياح أداة إجرائية مهمة لفك رموز النص، وقد وضع له الأسلوبيون مصطلحات بديلة منها العدول والتجاوز، ويظهر في مباحث الحذف والإيجاز والتقديم والتأخير، ويلتقي هذا مع توجهات القدماء في التعامل مع هذه الأدوات الإجرائية التي تفك غريب النص، وتكشف عن تلك الطاقات الإيحائية للغة، وعن قدراتها التعبيرية⁽²⁾.

وتأسيساً على هذا الفهم فإن التقديم والتأخير من أكثر مباحث التركيب تحقيقاً للانزياح ، فهو يقع في بؤرة مباحث الأسلوب الدائرة حول التركيب ، لذا رأينا أن نعرض لآراء بعض النقاد القدامى والمتحدثين في التقديم والتأخير ، إذ يعد طرازاً أسلوبياً يمكن تتبعه في النتاج النقدي عند العرب .

(1) ينظر : الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية : 120.
(2) ينظر : الأسلوب والأسلوبية، د. عبد السلام المسدي : 164.

المبحث الأول

التقديم والتأخير عند النقاد القدامى

إذا عدنا إلى جهود النقاد العرب القدماء في دراستهم حول أسلوب التقديم والتأخير نجد أنهم اهتموا بهذا المستوى من الاستعمال اللغوي الذي يعتمد على تكسير العرف اللغوي والخروج عن المؤلف من العلاقات الاسنادية المتداولة ، والتي درج الناس عليها، إلى مستوى أرحب يرتقي بالنص عبر إضفاء سمة جمالية على الأسلوب الذي يتخذ في الأساس مستويين من التعبير عن الأفكار وتصويرها⁽¹⁾ :

❖ **تصوير مباشر :** وهو كل أسلوب يقوم بإقناع المخاطب عن طريق أقاويل قياسية، مبنية على مقدمات ونتيجة، وهو يتم بطرق بلاغية كالقديم والتأخير.

❖ **تصوير غير مباشر :** وهو من خصائص الأسلوب الشعري، يقوم على التخييل والمحاكاة، وتقوم صورته على الظواهر البلاغية الخاصة من تشبيه واستعارة ومجاز، ومن خصائص الفن القولي المنعوت بالشاعرية⁽²⁾.

إن الكلام يقوم على هذين المستويين وهما أساس أي خروج عن المؤلف، فالتقديم والتأخير يعد محوراً رئيساً في الدرس البلاغي العربي، وكذا في مباحث الأسلوبية. وقد أسس النقاد لهذه الفرضية إنطلاقاً من نظرتهم إلى اللغة في مستويين عادي وإبداعي ((والمستوى العادي هو الذي يعتمد النحو التقعيدي في تشكيل عناصره، كما يعتمد اللغة في تنسيق هذه العناصر، وثمره الترابط بين ما يقول به النحاة وما يقول به اللغويون ظهور مثالية اللغة في استخدامها المؤلف، وهي مثالية افتراضية أكثر منها تطبيقية واقعية))⁽³⁾.

ولعل أول من يطالعنا من النقاد القدامى الذين اهتموا بالعلاقات الاسنادية، ومنها التقديم والتأخير هو:

أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210هـ) :

أشار أبو عبيدة إلى التقديم والتأخير في مواطن من كتابه، وعده من أسلوب المجاز، ففي قوله تعالى : ((ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى))⁽⁴⁾. فقال : ((مجازه مجاز المقدم والمؤخر وفيه ضمير، وله موضع آخر من المختصر الذي فيه ضمير: ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى لا لتشقى ؛ والموضع الآخر: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، وما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى))⁽¹⁾ ، وكشف عبر قوله هذا عن علاقة التقديم والتأخير بالاقتصاد اللغوي الذي يعد من جماليات الأسلوب القرآني، وهو يعتمد على تكثيف اللغة لتعطي مجالاً

(1) ينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد : 126.

(2) ينظر : النقد والإعجاز : 87-88.

(3) البلاغة والاسلوبية : 198.

(4) طه : 2.

(1) مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق وتعليق أحمد مزيد المزيدي : 164.

أوسع من الأفكار والمعاني، ويمكن اللغة من التطور، كما يسمح للمبدع من مراوغة اللغة والانزياح عن قوانينها المعيارية التي تحاول ضبط الخروج عن المؤلف والمعتاد من اللغة .

وفي قوله جل وعلا : ((مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد))⁽²⁾. يقول: ((مجازة مثل أعمال الذين كفروا بربهم كمثل رماد، وتصديق ذلك من آية أخرى (أحسن كل شيء خلقه)⁽³⁾. مجازة أحسن خلق كل شيء))⁽⁴⁾. وفي قوله سبحانه وتعالى : ((فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم))⁽⁵⁾. يقول : ((مقدم ومؤخر لأن الاستعاذة قبل القرآن))⁽⁶⁾.

وانطلاقاً من هذه التحليلات وضع هذا الناقد تصوراً عاماً لكثير من علوم البلاغة ، فقد تحدث عن جملة مجازات، ولم يعطها الأسماء الاصطلاحية ، إنما أدرك الطريقة التعبيرية ، والنوعية ، والبلاغية ، فشرحها ممثلاً لها .

إن هذا الناقد ، وهو يبحث في هذه التبدلات ، كان يؤسس لنمط إجرائي، ويقنن لتناول النص القرآني بالدراسة والتحليل ، فقد كان يتجه نحو التقييد ووضع الأسس .

إن ما قدمه أبو عبيدة يشكل ، في حد ذاته، نظرة تطويرية تكشف عن المد الدلالي للنص ، ويكشف في الوقت نفسه عن مستوى من التحليل يتعامل مع النص تعاملاً واقعياً يبتعد فيه عن التعامل العاطفي ، وبذلك فقد قدمت دراسته تصوراً عاماً للخصائص التعبيرية لدلالة اللفظ في مجالات الاستعمال المتعددة ، والتي يمثل القرآن الكريم أرقى هذه المستويات الاستعمالية . وبهذا كان الرجل نموذج القارئ المثقف المعاصر، الذي ينطلق من الخصائص الداخلية للنص .

الجاحظ (ت255هـ) :

لم يتحدث الجاحظ عن التقديم والتأخير ، ولم يبين القيم الجمالية للتركيب الذي تحدث فيه مثل هذه الظاهرة وهو على علم بها، لأنه فضل تقديم الكناية لشرفها على سابقاتها فقدمها، في ذلك قوله : ((وربما كانت الكناية أبلغ من التعريض وأدعى إلى التقديم من الإفصاح والشرح))⁽¹⁾.

(2) إبراهيم : 18.

(3) السجدة : 7.

(4) مجاز القرآن : 130.

(5) النحل : 98.

(6) مجاز القرآن : 141.

(1) ينظر: رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون: 307/1.

ومع هذا لم نعثر على مبحث له في مؤلفاته يوضح من خلاله هذه الظاهرة. فربما لأنه رأى أن هذا الغرض قد يكون توجيه التفات السامع إلى كلمة من كلمات عن طريق إبراز هذه الكلمة إبرازاً يتحقق عنه تأثير ما وهي فكرة قررها سيبويه والجاحظ لا يريد تكرارها.

ابن قتيبة (ت276هـ) :

يتبلور التقديم والتأخير عند ابن قتيبة – وهو قريب العصر ممن سلفت أسمائهم – لما تضمنه من مقاييس أسلوبية، وذكره بمقولته : ((وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه . ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير...))⁽²⁾. إلا أنه لم يفرد له باباً مثل بقية الظواهر الأسلوبية، فقد تناوله ضمن (المقلوب). وقال فيه: ((ومن المقلوب أن يقدم ما يوضحه التأخير، ويؤخر ما يوضحه التقديم، كقوله تعالى : ((فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله))⁽³⁾.

أي مخلف رسله وعده، لأن الإخلاف قد يقع بالوعد كما يقع بالرسل. فتقول: أخلفت الوعد وأخلفت الرسل))⁽⁴⁾.

فقدم المفعول الثاني على المفعول الأول، إذ الأصل مخلف رسله وعده، وللصياغة الجديدة في التقديم ظهر مسلك أسلوبى لأحد الكلمات فتغير التركيب، فأصبحت (مخلف وعده رسله) فلفظة (رسل) هي السمة الأسلوبية للتركيب .

ويذكر ابن قتيبة قيمة أسلوبية أخرى للتقديم هي ((أمن اللبس)) فيحدث القلب، ومدلول هذه القيمة يجب التنبيه إليه إذ يبدو أنه يؤكد طريقة واضحة في امتداد جذور الصياغة إلى ذات المتلقي، وخلق بنية جمالية للتعبير، تتداخل فيها علاقة النص بمن يقرأه أو يسمعه، ويعتمد ابن قتيبة في تدليله الأسلوبى على فنية تستمد قيمتها من أقوال العرب ليبرر تأويله وليستقيم كلامه، ومن ذلك قول الشاعر: (البيت من الطويل)

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه

وسائره بادٍ إلى الشمس أجمع

(2) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تح أحمد صقر : 20.

(3) إبراهيم: 47.

(4) تأويل مشكل القرآن: 192.

قال ابن قتيبة : ((أراد (مدخل رأسه الظل) فقلب، لأن الظل التبس برأسه، فصار كل واحد منها داخلاً في صاحبه، والعرب تقول: (أعرض الناقة على الحوض) تريد : أعرض الحوض على الناقة، لأنك إذا أوردتها الحوض : اعترضت بكل واحد صاحبه)) (1) .

ويبين ابن قتيبة القيمة الأسلوبية للتقديم (مدخل الظل رأسه) هي تجنب أفساد المعنى وإبهامه .

وفي معرض حديثه في كتابه (أدب الكاتب) عن الآداب التي يجب على الكاتب التزامها يقول ابن قتيبة ناصحاً الكاتب: ((نستحب له إن استطاع أن يعدل بكلامه عن الجهة التي تلزمه مستثقل الإعراب ليسلم من اللحن وقباحة التعبير)) (2)

وعند إنعام النظر في قول ابن قتيبة نلمح إشارة خفية يقصد بها (التقديم والتأخير) فما من وسيلة لتعغير وتعقيد المعنى سوى حركية ودوال الجملة سلباً وإيجاباً ، وذلك لا يتسنى إلا بالتقديم والتأخير . وهو وإن لم يصرح بالوسيلة التي تلغز الإعراب ، وتعمي المعنى ، فقد استباننا ضمناً .

ابن المدبر (ت279هـ) :

أما ابن المدبر في رسالته الموسومة بـ(الرسالة العذراء) فإنه يجعل النصيحة أكثر تفصيلاً وإيضاحاً ، إذ يقول: ((أدر الألفاظ في أماكنها ، وأعرضها مع معانيها ، وقلبها على جميع وجوهها ، حتى تقع موقعها ، ولا تجعلها قلقة نافرة، فمتى صارت كذلك هجنت الموضع الذي أردت تحسينه وأفسدت المكان الذي أردت إصلاحه ، واعلم أن الألفاظ في غير أماكنها ، والقصد بها في غير مظاهرها ، كترقيق الثوب الذي إذا لم تتشابه رقاعه ، ولم تتقارب أجزاءه ، خرج عن حد الجودة ، وتغير حسنه)) (3) .

فهذه النصيحة الثرية تُنبئ عن وعي وإدراك عميقين لدور (التقديم والتأخير) وتوظيفه أسلوباً في عملية تركيب الجملة ، وذلك في قوله: ((وقلبها على جميع وجوهها ، حتى تقع موقعها)) لكأننا به يتحدث عن مدى صحة التراكيب المختلفة للجملة الواحدة ، لكن ما يصح منها معنى ومضموناً هو عين الصواب ، وذلك ما يعنيه بقوله : ((حتى تقع موقعها)) . وهي – على ما نظن – إشارة غاية الروعة فيما ترمز إليه .

(1) تأويل مشكل القرآن : 194 .

(2) أدب الكاتب ، ابن قتيبة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد : 13 .

(3) الرسالة العذراء ، ابن المدبر ، تحقيق زكي مبارك : 30 .

وإذا تأملنا المثال الذي ضربه تمثيلاً لحالة (التقديم والتأخير) من الإجابة والإساءة نجد رائعاً في إشارته ؛ إذ يجعل عدم انسجامية النظم حالة أشبه بترقيع الثوب .

كذلك يجعل ابن المدبر الشعر موطناً للضرورات ، فيغتفر فيه ما لا يغتفر في النثر ، يقول : ((ولا يجوز في الرسائل ما يجوز في الشعر ؛ لأن الشعر موضع اضطرار فاغفروا فيه الإغراب ، وسوء النظم ، والتقديم والتأخير ، والإضمار في موضع الإظهار)) (1) .

فإبن المدبر يجعل من هذه الوسائل الأسلوبية حال إساءة توظيفها من الشعر من الضرورات ، لأن الشعر موضع اضطرار ، ولذا نجد النقاد والبلاغيين يحاولون تأويل ما جاء من أبيات شعرية معقدة النظم على وجه مقبول .

ونجد لابن المدبر إشارة أخرى تتناول تراكيب الشعر بالذم ، يقول : ((وإساءة النظم في التأليف في الشعر كثير ، تكون الكلمة بشعة حتى إذا وضعت موضعها وقرنت مع أخواتها حسن حالها وراقت ... كما أن اللفظة إذا لم توضع موضعها نفرت)) (2) .

ابن طباطبا (ت322هـ) :

أما ابن طباطبا العلوي فيبدو أنه يرى في التقديم والتأخير غثاءة يجب الاحتراز من مثلها. وهكذا فقد كان على الأعشى في رأيه بدل أن يقول: (البيت من المتقارب)

أفي الطوف خفت علي الردى وكم من ردٍ أهله لم يرم

(1) الرسالة العذراء : 19 .

(2) الرسالة العذراء : 21 .

كان عليه أن يقول : ((لم يرم أهله))⁽¹⁾ ، بيد أن الفارق الدلالي كبير جداً بين تقدير طباطبا و ما يراه الشاعر ، فالشاعر يريد التأكيد لأبنته- وقد خافت عليه الهلاك من كثرة الأسفار – أن الموت لن يمتنع عنه حتى وإن تحصن في داره وبين خلانه. وليس أحد أحرص على المرء من أهل وخلان، ولكن الموت كثيراً ما ينتزع المرء من بينهم من دون أن يملكوا له دفعاً. كذلك يريد الشاعر ليطمئن أبنته أن لا خوف على أبيها من الأسفار مهما تبعد أو تطل، مثلما لا أمان له من الموت حتى وإن يكن بين أهله وأولاده. وهي دلالات لا ندري هل كان ممكناً أن تفهم من البيت لو أن الشاعر قال ما قاله على نحو ما أراد له طباطبا؟! ثم يعرض البيت الراعي : (البيت من الطويل)

فلما أتاهما حبتـر بسلاحه مضى غير مبهورٍ ومنصله أنتضى

فيقول : ((يريد : وانتضى منصله))⁽¹⁾. لكن تقديم المفعول هنا أيضاً ما لا يفيد تقدير ابن طباطبا، فهو إضافة إلى أنه أخرج البيت من نثرية محققة كانت

تكون لو لم يقدم ، فيه تأكيد على أهمية انتضاء السلاح الذي يدور عليه سياق البيت. وهو تقديم أضفى على البيت نبرة قوية تلئم السياق.

وعلى الرغم من أن ابن طباطبا يورد شواهد شعرية يبدو التعقيد فيها واضحاً فإنه يجمع معها شواهد يبدو لنا التقديم فيها ذا غاية معنوية كالبيتين السالفين وكقول امرأة من قيس : (البيت من الطويل)

لها أخوا في الحرب من لا أخا له إذا خاف يوماً نبوةً ودعاهما

وكعادة ابن طباطبا في تصحيح ما يراه غثاة نراه يقدر البيت على أنه لها أخوا من لا أخا له في الحرب⁽²⁾. وهو تقدير لا يؤدي – فيما نحسب- ما يؤديه التقديم من تأكيد على أهمية إبراز الحال التي فيها الأخوة وهي هنا حال الحرب التي فيها – لا في وقت السلم – يتكشف صدق ما بين الناس من صلات ووشائج. والحق أن الأخوة إذ تصدق وقت الشدة والحرب فهي جديرة أن تكون كذلك وقت السلم والحرب .

قدامة بن جعفر (ت 337هـ) :

(1) عيار الشعر ، لأبن طباطبا العلوي، تحقيق وتعليق د. طه الحاجري، و د. محمد زغلول سلام : 40، والبيت في ديوان الأعشى، شرح وتعليق محمد محمد حسين : 91 .

(1) عيار الشعر : 40.

(2) ينظر: عيار الشعر : 43.

يجعل قدامة بن جعفر (التقديم والتأخير) عيباً من العيوب التي تلحق الشعر وتهجنه ، ولم يذكره في كتابه (نقد الشعر) بوصفه وسيلة اسلوبية تستخدم لتحسين الكلام وتزيينه ، بل اكتفى بفعل الذم ، وجعل المبحث في خانة العيوب ، يقول قدامة في معرض حديثه عن المقصد من نعت ائتلاف اللفظ والوزن : ((أن تكون أوضاع

الأسماء والأفعال والمؤلفة منها وهي الأقوال ، على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن إلى تأخير ما يجب تقديمه ، ولا إلى تقديم ما يجب تأخيرها منها)) (1) .
ويتحدث عن (التفضيل) وهو من عيوب ائتلاف اللفظ والوزن فيقول : ((هو ألا ينتظم للشاعر نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض فيقدم ويؤخر كما قال دريد بن الصمة :

وبلغ نميراً – إن عرضت – ابن عامر **فأي أخ في النائبات وطالب**
ففرق بين نمير بن عامر بقوله : (إن عرضت)) (2) .

ويتضح هنا أن الذي عناه قدامة بالتفريق هو (الاعتراض) وقد يستغرب القارئ ألا ينتبه قدامة لهذه اللمحة النحوية فلا يفرق بين (الاعتراض) وبين (التقديم والتأخير) . لكن المهم هنا أنه جعل (الاعتراض) من (التقديم والتأخير) ، وهي وجهة نظر جديدة ، مختلفة تماماً عن النظرة النحوية في هذه المسألة . والذي يعيننا هنا أنه أصر على ذكر المبحث في الجانب السيئ للتوظيف الكلامي ، ولم يشر إليه إطلاقاً بالإجادة والحسن .

إن قدامة في هذين الرأيين اعتمد (التقديم والتأخير) محوراً لكلامه ، وأدار عليه اجتهاداته ، ففي الرأي الأول يذهب إلى استحسان نسق الكلام العادي ، والترتيب المثالي ، ويذهب إلى أن استخدام التقديم والتأخير في الكلام إنما هو من قبيل الاضطراب ، فالذي يجب على الشاعر التزامه هو نسق الكلام العادي ، فلا يؤخر ما يجب تقديمه ، ولا يقدم ما يجب تأخيرها ، بل يلتزم تقديم المتقدم ، وتأخير المتأخر .

كذلك نلمح هنا إحافاً للمبحث ، وغمطاً لحقه ، فكيف يغيب عن ناقد وبلاغي فحل مثل قدامة ، جمالية وفنية استخدام (التقديم والتأخير) كأحد السمات المميزة

(1) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق : كمال مصطفى : 166 .

(2) نقد الشعر : 221 . والبيت من الطويل ، ينظر : ديوانه : 36 برواية

وابلغ نميراً أن مررت بدارها على نأيها فأي مولى وطالب

للبلاغة العربية ومن قبلها النحو؟! وكيف يغيب عن ذهنه - وهو من هو - روعة الاستخدام القرآني لهذا الأسلوب أروع استخدام؟! .

أما في الرأي الثاني فقد نحنا فيه نحو (الخلط) بين (التقديم والتأخير) و(الاعتراض) بمسمى جديد هو (التفصيل) . وجعله من عيوب ائتلاف اللفظ والوزن .

الأمدي (ت 370هـ) :

أشار الأمدي إلى مصطلح (الإساءة في النظم) أو رداءة مكان اللفظ في الجملة بقوله : ((واعلم أن رديء اللفظ يكون على وجهين : أما أن يكون اللفظ من الفاظ العوام سخيفة في نفسها ، أو جيدة قد وضعت في غير موضعها فصارت رديئة بذلك الموضع خاصة)) (1) .

إن التمعن في هذا النص يفضي إلى أن الأمدي قد سار في إتجاه ابن المدبر واتخذ من كلامه نبزاً له نلمح ذلك من سياق الكلام . فضلاً عن ذلك أن الأمدي لم يشر إلى أسلوبية (التقديم والتأخير) ودوره في إبراز جماليات النظم .

المرزباني (ت 384هـ) :

يسلك المرزباني الدرب نفسه إذ يقول : ((وقد وضع قوم الكلام في غير موضعه ، فقدموا وأخروا ، نحو قوله :

صددت فاطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

يريد : وقلما يدوم وصال)) (2) .

(1) الموازنة بين الطائيين ، الأمدي ، تحقيق السيد صقر وعبد الله محارب : 471/4 .
(2) الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء ، المرزباني ، تحقيق محمد شمس الدين : 124 .

أبو هلال العسكري (ت 395هـ) :

يرى احد الباحثين المحدثين أن البلاغيين الذين سبقوا عبد القاهر الجرجاني كأبي هلال العسكري لم تكن لهم دراسات حول التقديم والتأخير ، بل ربما كانوا ينظرون إليه على أنه درس نحوي يدرس ضمن أبواب النحو ⁽¹⁾ . ونحن نخالفه الرأي ، فقد فصل أبو هلال العسكري القول في (التقديم والتأخير) دون أن يعين له فصلاً خاصاً في كتاب (الصناعتين) . فقد بدأ بالكلام على أخطاء المعاني وأسباب هذه الأخطاء بقوله : ((والمعاني بعد ذلك على وجوه منها ما هو مستقيم حسن كقولك : قد رأيت زيداً . ومنها ما هو مستقيم قبيح نحو قوله : قد زيداً رأيت . وإنما قبح لأنك أفسدت النظام بالتقديم والتأخير)) ⁽²⁾ .

وإذا تأملنا قول العسكري نجده قد رد استقامة الكلام تركيباً وقبحه من ناحية المعنى إلى أسلوب (التقديم والتأخير) بدليل قوله : (مستقيم قبيح) أي قد استقام الكلام تركيباً وسلم من الناحية النحوية من حيث التزامه بالقواعد المقررة في التركيب ، لكنه قبح من ناحية المعنى والدلالة ، وقوله : ((لأنك أفسدت الكلام بالتقديم والتأخير)) أي نظام المعنى .

إن العسكري يقرر هنا قاعدة (معنى التراكيب) أو توظيف النحو بلاغياً ، وهذا ما سيتنبه له فيما بعد عبد القاهر الجرجاني في (دلائل الإعجاز) . لكن الجميل هنا أن العسكري يحكم الذوق في الحكم على سلامة النظام الدلالي والمعنوي للجملة ، بعيداً عن تحكيم السلامة التركيبية النحوية .

ويتخذ العسكري سلاح النصيحة ويتدثر به ليلقي بنصائحه للكتاب عن فنية (التوظيف) الجيد بقوله : ((وينبغي أن ترتب الألفاظ ترتيباً صحيحاً ؛ فتقدم منها ما كان يحسن تقديمه ، وتؤخر منها ما كان يحسن تأخيرها ، ولا تقدم منها ما يكون التأخير به أحسن ، ولا تؤخر منها ما يكون التقديم به أليق)) ⁽³⁾ .

وعند إنعام النظر في هذا النص نجد أن العسكري يشير صراحة إلى استحبابه نسق الكلام على المعتاد دون استخدام فنية (التقديم والتأخير) في التراكيب ، يقول : (فتقدم منها ما كان يحسن تقديمه) ، فالمبتدأ مقدم ، والفاعل مقدم ، وصاحب الحال مقدم عليها ، وتلك هي أوجه الكلام الفصيح ، فلا حاجة إلى التعقيد والإلغاز في التراكيب باستخدام (التقديم والتأخير) .

(1) ينظر : التقديم والتأخير في القرآن الكريم : 31-32 .

(2) كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم : 76 .

(3) كتاب الصناعتين : 157 .

ويتحدث العسكري عن سوء الرصف وحسنه بقوله : ((وحسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها وتمكن في أماكنها ، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير ، والحذف والزيادة إلا حذفاً لا يفسد الكلام ، ولا يعمي المعنى ، ويضم كل لفظة منها إلى شكلها ، وتضاف إلى لفقها . وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيرها منها وصرفها عن وجوها ، وتغيير صيغتها ، ومخالفة الاستعمال في نظمها)) (1) .

إن هذا النص يستلزم منا وقفة تفصيلية تحليلية لأهمية ما يحتويه . فالعسكري يتحدث عن (الرصف) أي (النظم) ويجعل حسن النظم أن تأتي الدوال المكونة لأي تركيب على النسق المعهود نحويًا ، والالتزام بالقواعد التركيبية المقررة ، ولا يستعمل فيها أي تقديم أو تأخير أو حذف أو زيادة إلا بشروط معينة هي :

1. عدم افساد الكلام ⇨ لا يفسد الكلام .
 2. عدم غموض المعنى ⇨ ولا يعمي المعنى .
 3. أن تتضمن الألفاظ إلى ما يشاكلها بالتقديم والتأخير أو الحذف أو الزيادة .
- فجعل العسكري شرطين إلى جانب المعنى ، وشرطاً وحيداً في جانب التركيب . لكن السؤال الآن : ماذا يقصد بقوله : ((ويضم كل لفظة منها إلى شكلها ، وتضاف إلى لفقها)) ؟ وما الشكل الذي يقصده هنا ؟ هل يرمي إلى الشكل التركيبي المثالي ؟

إن الضم والمشاركة التي يقصدها العسكري ويرمي إليها قد تفسر من جوانب عدة ، لكن وجه الكلام يشير إلى عنايته بالمشاركة التركيبية ، وعنايته بانسياب الكلام على قواعد التركيب المقررة ، لكون سياق عبارته ينحو نحو هذه الوجهة .

أما سوء الرصف عنده فله وسائل تؤدي إليه منها :

1. تقديم ما ينبغي تأخيرها .
2. صرف الألفاظ عن وجوها .
3. تغيير صيغة الألفاظ .
4. مخالفة الاستعمال في نظم هذه الألفاظ .

وقد جعل العسكري الوسيلة الأولى (تقديم ما ينبغي تأخيرها) على إطلاقها ، ولم يخصصها ، ذلك أن هناك ما ينقض هذه الإشارة ، فالخبر يتقدم على المبتدأ وهو من المؤخرات وجوباً ، وكذلك المفعول ، والحال ، والتمييز ، والمفعول المطلق ، والمفعول معه ، ومعمولات المشتقات ، لكن المسوغ الوحيد لحمل كلام العسكري على حسن الظن هو كونه يخاطب أهل عصره بما عرف عنهم من ثقافة نحوية في ذلك الوقت ، فكأنه عندما يشير إلى هذه الإشارة تتجه الأذهان إلى تقديم ما ينبغي تأخيرها ولا وجه لتقديمه إطلاقاً ، فبذلك يسوء الرصف ، وهذا هو الاحتمال الأليق .

أما الوسيلة الثانية لسوء الرصف وهي (صرف الألفاظ عن وجوها) فالمقصود بالوجوه هنا وجوه الاستخدام في السياقات المختلفة (الدالية) ، فقد تأتي اللفظة لتدل على عدة معان ، ويوظفها الشاعر أو الناثر ليشير بها إلى معنى مخالف لكل أوجه الاستعمال المعهودة ، فيصرفها عن وجه استخدامها ، فيسوء هذا الاستخدام ، وينبى عن الصحة .

والوسيلة الثالثة لسوء الرصف عند العسكري هي (تغيير الصيغة) ، فما المقصود بالصيغة هنا ؟ هل يعني الصيغة البنيوية الصرفية أم أنه يعني الصيغة

(الصياغية) ؟ وسياق الكلام هنا يدور في جانب تعداد الوسائل المفسدة للنظم ، فأجدر بالسياق هنا أن يشمل الدلالة والنحو والصرف أيضاً ، وعلى هذا فإن هذه الوسيلة تنحو نحو الصيغ الصرفية ، وتغيير صيغ استعمالها ، فلا نتوقع استخدام صيغة صرفية لم يتعارف عليها العلماء ، وتحوز منهم الإعجاب . والدليل على ما ذهبنا إليه هو ما أشار إليه العسكري في الوسيلة الرابعة وهي (مخالفة الاستعمال في نظمها) نجدها مكملة للوسيلة السابقة ، أي مخالفة ما تعاهدته العرب من توظيفات للفظه نحويًا ودلاليًا .

إن النص السابق رغم ثرائه بالآراء والدلالات ، فانه يحمل في طياته إشارات هدم ، وعبارات ذم لأسلوب (التقديم والتأخير) إذ أن العسكري يجعل من استخدامات هذا الأسلوب في جانب الإساءة ، وقد أغفل العسكري أي إشارة إلى حسن توظيفه ، وأثره في إثراء دلالات النظم الكلامي .

القاضي عبد الجبار (ت415هـ) :

يتخذ القاضي عبد الجبار من التقديم والتأخير إطاراً للرد على من أتخذ من اختلاف المسلمين في تأويل نص القرآن وسيلة طعن في الإسلام، وذلك لجهلهم لما تحمله لغة القرآن من طاقات إيحائية وقيم أسلوبية.

فتحدث عن التقديم وبين سماته الأسلوبية، ومنها تنزيه القرآن عن التناقض. قال : ((وربما قيل في قوله : (إني متوفيك ورافعك إلي) ⁽¹⁾ كيف يصح أن الله

لم يتوفه بل رفعه؟ وجوابنا إن العطف بالواو لا يوجب الترتيب فرفعه الله ثم توفاه⁽¹⁾).

(1) آل عمران : 55 .

فهو يتفق مع (أبن قتيبة) على أن التقديم والتأخير يتم لأمن اللبس أو خوفاً من حدوث التناقض في الكلام، وكلام الله منزّه عن هذا.

وينزه عبد الجبار القرآن الكريم عن كل تناقض متخذاً من سمة (التنزيه) مسلكاً عاماً ينزه بها القرآن، قال : ((وربما قيل في قوله تعالى : (فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ)⁽²⁾ . ثم قال : ((فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربّي))⁽³⁾ . كيف يجوز أن يقول لهم ذلك. وقد هلكوا بأخذ الرجفة لهم ؟ .

وجوابنا : ((إن في ذلك تقديماً وتأخيراً، ومثل ذلك يكثر في الكلام))⁽⁴⁾ .

أبو عبد الله الأندلسي (ت450هـ) :

يجعل أبو عبد الله الأندلسي من تعريف النظم جل غايته ، ويجعل من (التقديم والتأخير) وسيلة من وسائل هذا النظم ، ويذكر له وجوه الجواز وعدمه . يقول الأندلسي في تعريف النظم : ((هو تأليف الكلام على وجه دون وجه ، منه ما يجوز فيه التقديم والتأخير ، كتقديم المفعول على الفاعل حيث يكون أهم ، والحاجة إليه اشد نحو قوله تعالى {وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ} ⁽⁵⁾ ، ومنه ما تقبح ، وهو الذي يؤدي إليه تطلب الوزن نحو قول الاعشى :

أفي الطوف خفت على الردى وكم من رد اهله لم يرم

..... ومنه ما لا يصح بوجه كتقديم الخبر والمفعول حيث يشتبه ، وتقديم الصلة على الموصول ، والمضاف إليه على المضاف ، وتوابع الاسماء ، وتقديم المضمّر على المظهر ، وغير ذلك مما يطول تعدادّه ، وتبنى كتب النحو عنه⁽⁶⁾ .

إن الأندلسي في هذا النص يتبنى وجهه النظر النحوية ويسمح بنقل ما (جوزه وقبحه ومنعه) النحويون . فقد بدأ بتعريف النظم بأنه مطلق الحرية التي ينتهجها المبدع في اختيار كلماته وتأليفها على وجه دون آخر ، وتلك الحرية هي مناط الابداع .

(1) تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضي عبد الجبار: 67 .

(2) الأعراف : 78 .

(3) الأعراف : 79 .

(4) التنزيه : 149 .

(5) سورة البقرة : 124 .

(6) المعيار في اوزان الاشعار ، ابو عبد الله الاندلسي ، تحقيق د. عبد الله هنداوي : 179 .

- ويشرع الأندلسي بعد ذلك تفصيل أوجه استعمال (التقديم والتأخير) في النظم فيجعله على ثلاثة أقسام هي :
1. ما يجوز فيه التقديم والتأخير ، وجعل منه تقديم المفعول على الفاعل لكونه أهم والحاجة إليه اشد .
 2. ما يقبح فيه التقديم والتأخير ، وجعل ما يضطره الوزن في الشعر من ضرورات ، كذلك تقديم الخبر على المبتدأ إذا أشكل التقديم ، دون أن يفصل هنا سبب هذا الإشكال .
 3. ما لا يصح بوجه مثل تقديم الخبر والمفعول إذا أشكلت الجملة ، وتقديم الصلة على الموصول ، وتقديم المضاف إليه على المضاف ، وتقديم توابع الأسماء على متبوعها ، وتقديم المضمرة على المظهر لاستحالة عود الضمير على متأخر (1) .

ابن رشيق القيرواني (ت 456هـ) :

ويستعذب ابن رشيق القيرواني (التقديم والتأخير) في كتابه (العمدة) ، ولكنه يعدد في الوقت نفسه مثالب استخدامه ويستتهجن ذلك ، وما بين الاستعذاب والاستهجان نقف مدهوشين من جراء هذا الفعل النقدي . يقول ابن رشيق : ((ومن الشعراء من يضع كل لفظة موضعها لا يعدوه ، فيكون كلامه ظاهراً غير مشكل ، وسهلاً غير متكلف ، ومنهم من يقدم ويؤخر ؛ إما لضرورة وزن أو قافية وهو أعذر ، وإما ليدل على أنه يعرف تصريح الكلام ويقدر على تعقيده ، وهذا هو العي بعينه)) (2) .

هكذا نرى في نص واحد ، بل وفي سطر واحد رأيين لبلاغي ناقد فحل ، هما في حقيقة الأمر طرفا نقيض . فابن رشيق يمدح من لا يضمن شعره سوء الترتيب أي (التقديم والتأخير) ، فيجعل كلامه ظاهراً غير مشكل ، فيمدحه بالابتعاد عن الإشكال والتكلف ، ويذم من يستخدم هذه الوسيلة ، ثم يعود فيقول : ((ومنهم من يقدم ويؤخر ؛ ما لضرورة وزن أو قافية وهو أعذر)) ، فكيف يستقيم هذا الكلام المتناقض ؟! بل وفي الموضوع نفسه ينعى على من يفعل ذلك إظهاراً لمقدرته على تصريح

(1) ينظر : المعيار في اوزان الاشعار : 180-186 .

(2) العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد : 260/1 .

الكلام وتعقيدة بقوله : (وهذا هو العي بعينه) إن النص السابق يضع أمام رأي ابن رشيق الكثير من علامات الاستفهام .

ويعود ابن رشيق فيقول : ((ورأيت من علماء بلدنا من لا يحكم للشاعر بالتقدم ، ولا يقضي له بالعلم ، إلا أن يكون في شعره التقديم والتأخير ، وأنا استثقل ذلك من جهة ما قدمت ، وأكثر ماتجده في أشعار النحويين))⁽¹⁾ . فهو هنا يعتمد الذم لذلك الفعل والصنيع .

وهكذا فقد وقفنا عند آراء النقاد القدامى الذين تناولوا التقديم والتأخير ، وإن هذه الآراء الواردة عن النقاد القدامى تُبنى فيما تبنيء به عن تنبيه لأهمية هذا الأسلوب وطرق توظيفه . وقد أشار هؤلاء النقاد إلى درجات الإساءة والإجادة في هذا التوظيف . وقد وردت هذه الإشارات في معرض التطبيق ، إذ جعل النقاد من التطبيق والتحليل مدخلاً للحديث عن هذا الأسلوب ، وأكثروا من سوق الشواهد الشعرية . تدليلاً على ما ذهبوا إليه من آراء .

(1) المصدر نفسه : 261/1 .

المبحث الثاني

التقديم والتأخير عند النقاد المحدثين

يظهر لمن يقرأ جهود النقاد المحدثين أنهم تناولوا ظاهرة التقديم والتأخير من جوانب متعددة ، فكان أكثرهم متابعاً للجرجاني ، إذ يعتمد أصحاب هذا الاتجاه على الغوص في فكر عبد القاهر في محاولة لاستكشاف عوالمه الداخلية، غير أن قسماً آخر يحاول أن يشرب فكر الجرجاني من ثقافته الحديثة ، ونجد عند قسم آخر أنه يرفض جوانب من فكر البلاغيين القدامى، وهو مع ذلك يلجأ إلى أساليبهم في المعالجة، وهناك من يقدم مناقشة قصيرة حول جهود بعض القدماء ، وهي —على ما نظن — تعبر عن وجهات نظر أصحابها ، ولذلك سندرس كل موقف على حده.

موقف د. عبد العزيز عتيق :

لم يخرج د. عبد العزيز عتيق عن المنهج الذي سار عليه أكثر الباحثين ممن ألفوا في علم المعاني، فهو يؤكد في هذا السياق - على مسألة مهمة لم يغيب عنها القدماء ، وهي أن تقديم جزء من الكلام يستدعي بالضرورة تأخير الجزء الآخر منه ، وبذلك تكون علل تقديم المسند إليه هي علل تأخير المسند ، والعكس صحيح ، غير أن الدكتور عتيق قد نهج نهجاً لم نره عند غيره ، إذ كان يمزج الحديث في أغراض تقديم المسند إليه بأغراض تقديم المسند عبر تلخيص أقوال القدماء⁽¹⁾.

موقف الباحثين د. مصطفى الرافعي ، و د. عبد الحميد جيدة:

وييسر الباحثان : د. مصطفى الرافعي، و د. عبد الحميد جيدة جهود عبد القاهر في التقديم والتأخير عبر المسند والمسند إليه، ومعمولات الفعل، ويعتمدان في ذلك على جهود البلاغيين⁽¹⁾.

موقف د. تامر سلوم :

(1) ينظر : علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق : 149-154.
(1) ينظر : فنون صناعة الكتابة، د. مصطفى الرافعي، و د. عبد الحميد جيدة : 76-91.

ويتناول د. تامر سلوم جهود البلاغيين محلاً وناقداً ، ففي حديثه عن جهود عبد القاهر يرى أن الجانب الوجداني ليس أصلاً في حديثه ، لأن المعاني التي رآها ذات صبغة عقلية لا يتضح فيها المعنى الأدبي، ويبين أنه وقف إزاء هذه الظاهرة موقفين متميزين :

الأول : نحوي ، والآخر : بلاغي أو جمالي

ويظهر الموقف النحوي في الفارق بين تقديم الأسم أو الفعل في سياق الاستفهام بالهمزة ، وفي سياق النفي، وفي تقديم النكرة على الفعل (1) .

أما الموقف البلاغي فيتجلى في تقديم المسند إليه في الخبر المثبت ، ثم لا يلبث أن يلتزم عنده موقفاً بلاغياً آخر، وهو ذهابه إلى معنى الأهمية أو العناية متابعاً في ذلك ما ذكره سيبويه (2) .

وبعد أن يستعرض حديث الجرحاني من هذه الظاهرة يرى أن حديثه لا يستند إلى خبرة وجدانية بأحوال السياق ، فهو يبدأ بالاعتراف باحتواء الموقف البلاغي أو الجمالي على قدرٍ من الكمال وهذه – برأيه د. تامر سلوم- نقطة خطيرة ، إذ تقوم على تصور خاطئ تقسم فيه اللغة تقسيماً سطحياً، وفاعلية اللغة ترتبط بأشياء من هذا التقسيم الساذج الذي يرد اللغة إلى نمطين ويختصرها في عنصرين هما الفعل والفاعل (3) .

وهذا الاتجاه عند د. تامر ينبع في ظننا من نظرته إلى أقسام الكلم التي يخرج منها على قسمة النحاة التي كان عبد القاهر يؤمن بها ويوصل لها (4) .

موقف د. عبده قلقيلة :

من خلال قراءة فاحصة لما كتبه الدكتور قلقيلة في مؤلفه الموسوم بـ(البلاغة الاصطلاحية) وجدنا عنده اتجاهاً آخر في دراسة ظاهرة التقديم والتأخير ، فقد رأينا أنه يسعى إلى تخلص البلاغة من المصطلحات النحوية والمنطقية (5) .

-
- (1) ينظر : نظرية اللغة والجمال، د. تامر سلوم : 131-132 .
 - (2) ينظر : المصدر نفسه : 132-133 .
 - (3) ينظر : نظرية اللغة والجمال : 133 .
 - (4) ينظر : المصدر نفسه : 64، 110 .
 - (5) ينظر : البلاغة الاصطلاحية، د. عبده عبد العزيز قلقيلة : 124 .

وهو يمهّد للحديث عن التقديم والتأخير بذكر الرتب والأصول في الجملة، فيرى أن المسند والمسند إليه هما العنصران الأساسيان في الجملة العربية اسمية كانت أو فعلية، ثم بين أن الأصل في الجملة الفعلية أن يأتي الفعل ثم الفاعل ثم

المفعول أو غيره من القيود، والأصل في الجملة الاسمية أن يأتي المبتدأ أولاً والخبر ثانياً، ونراه يحاول تفسير القول بالتقديم فيما حقه التأخير بأن ذلك يرجع إلى الاعتبارات البلاغية، وهي اعتبارات جمالية، والبلاغة على هذا ((تعلل الأصل كما تعلل الفرع))⁽¹⁾. وفكرة الأصل والفرع فكرة نحوية منطقية، يستخدمها الباحث، ولم يستطع التخلص منها، وهذا يعني أن العلوم المتباعدة تشترك في المصطلحات، فكيف بعلمين، الحدود بينهما شبه معدومة؟!.

ويسير د. قلقيلة في هذه الظاهرة على طريق علماء البلاغة القدماء، غير أنه يلحظ عليهم أن دراساتهم ازدحمت بمسائل علم النحو في أثناء تعليلهم لتقديم المسند إليه، فقد كانوا يذكرون عللاً نحوية لذلك، ويرى أنهم زحموا هذه الأغراض بأصول علم المنطق وقضايا وقواعده، ولهذه الأسباب يصرح بأنه رسم لنفسه أن تقتصر دراسته على العلل البلاغية، عملاً بالمثل القائل: ((ما لله وما لقصر))⁽²⁾.

ويعيد د. قلقيلة في كلامه على دواعي تقديم المسند إليه ما قرأناه عند البلاغيين القدامى⁽³⁾، وقد يستدل على بعض الأغراض بأمثلة من صنعه لأبيات لم يستخدمها علماء البلاغة، على نحو ما نجد في حديثه في تقديم المسند إليه (كل) فهو يفرق هنا بين وقوعها في حيز النفي، ووقوع النفي في حيزها، فإذا قلنا: (كل مهملة لا ينجح) كان المعنى شمول النفي كل أفراد المسند إليه لتسلط (كل) على النفي، أما قول المتنبي: (البيت من البسيط)

ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فالمعنى أن الإنسان لا يحقق كل أمانيه بل بعضها، وذلك لتسلط النفي على (كل)⁽¹⁾. وفي تناوله تقديم المسند نراه يعرض لحديث السكاكي، فيرى أنه يعلل لذلك بثمانية علل، والعلتان الأولى والأخيرة منها تنتميان إلى العلل النحوية، ثم يعرض لباقي العلل⁽²⁾، ويرى أنه يمكن تلمس علل أخرى غير ما ذكر السكاكي من نصوص أخرى، مثل القصد إلى علم المتعجب منه، وفرط الإنكار له، كقوله تعالى: ((أراغب

(1) ينظر: البلاغة الاصطلاحية: 202.

(2) المصدر نفسه: 203-204.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 204-207.

(1) ينظر: البلاغة الاصطلاحية: 207، وينظر: شرح ديوان المتنبي، وضعه البرقوقى: م 2 / ج 4 / 366.

(2) ينظر: البلاغة الاصطلاحية: 207-209.

أنت عن الهتي يا إبراهيم⁽¹⁾. وقد ذكر البلاغيون هذا الغرض واستدلوا بهذه الآية الكريمة⁽²⁾.

وفي نهاية حديثه في تقديم كل من المسند إليه والمسند يتحدث د. قلقيله في تأخيرهما، فيرى أنه ينضوي تحت ما ذكرنا سابقاً من دواعي تأخير المسند، ودواعي تقديم المسند هي دواعي تأخير المسند إليه⁽³⁾.

ويفرد حديثاً في تقديم متعلقات الفعل، وما في معناه، ويبين أن الأغراض التي يحققها هذا التقديم تقسم على قسمين :

الأول : الأغراض الحقيقية التي لا دخل للبلاغة فيها ، ومنها تصحيح خطأ المخاطب ، كأن تقول لمن أعتقد أنك صادقت إنساناً وأنه غير محمد : ((محمدأ صادقت))⁽⁴⁾ .

الثاني : الأغراض البلاغية، وهو يعالج ذلك على الطريقة التي رأيناها عند السكاكي والقزويني⁽⁵⁾ ، ونراه ينص على أن السكاكي قد أصل كل ما قاله القزويني، ويرى في قوله بالتعريض غرضاً طريفاً للتقديم⁽⁶⁾ .

ويذكر د. قلقيله أغراضاً آخر لتقديم متعلقاً الفعل ، أضاف بعضها في زعمه الشيخ عبد المتعال الصعيدي، وهي : التبرك بذكر المقدم أو أستلذاذه، أو موافقته لكلام السائل ، وأضاف بعضها الآخر الشيخ حامد عوني وهي رعاية الفاصلة⁽⁷⁾. وهذه الأغراض رأيناها عند السابقين من البلاغيين القدماء ، فكان الأولى على د. قلقيله أن ينسبها إلى أصحابها.

ويتناول في النهاية تقديم بعض متعلقات الفعل على بعض ، فيرى أنها لا تختلف عن تقديم بعض متعلقات الفعل على الفعل من جهة أن منها ما هو واجب، وهو لذلك حقيقي لا بلاغة فيه ، ومنها ما هو بلاغي، ويعرض لما ذكره القزويني في هذا الإطار⁽⁸⁾ .

وتأسيساً على ما تقدم لا بد لنا أن نلاحظ في دراسة د. قلقيله أنه يقيّمها على متابعة جهود القدماء ، على الرغم مما أبداه من ملاحظات ، بيد أنه لم يأت بجديد.

(1) مريم : 46 .

(2) ينظر : البلاغة الاصطلاحية : 209 .

(3) ينظر : المصدر نفسه : 210 .

(4) ينظر : المصدر نفسه : 233 .

(5) ينظر : البلاغة الاصطلاحية : 233-234 .

(6) ينظر المصدر نفسه : 234 .

(7) ينظر : المصدر نفسه : 235 .

(8) ينظر : البلاغة الاصطلاحية : 238 .

موقف د. أسعد علي :

ويتحدث د. أسعد علي في ظاهرة التقديم والتأخير معتمداً على قراءة كتب البلاغة ، ولا سيما كتاب (الإيضاح) ، ويخرج من قراءته حديث الإيضاح في تقديم (المسند إليه) إلى أنه أصل كل كلام ، وإلى أن تنويعات التقديم والتأخير ما هي إلا ((افتتان بحرية المسند إليه، وإجتذاب أهل الذوق ليكونوا أتباعه بحرية الإبداع وفق مقتضى حال الأنفس والموضوعات)) (1) .

ولا يقدم د. أسعد علي في هذه الدراسة إلا هذه العبارات الغامضة التي لا يكاد المرء يحصل منها على طائل ، وعندما يتعرض لتقديم ، المسند نراه يلخص ما ورد في أحاديث البلاغيين ، على نحو ما رأيناه عند السكاكي والقزويني وغيرهم.

موقف د. محمد عبد المطلب :

يرى د. محمد عبد المطلب أن التقديم والتأخير تحول يصيب المسند إليه أما بانتقاله إلى موضع آخر ، وإما بأن يثبت في مكانه ، فيلزم موضعه الأصلي، على الرغم من أنه لا ثبات له ، لأن هذه الظاهرة تتعلق بما كان من الكلم من رتب غير محفوظة بيد أنه قد يلزم لأنه يستحق الصدارة (2) .

والتقديم والتأخير ظاهرة تكتسب عبر التركيب أهمية خاصة ، لأنها عدول عن الأصل المثالي ، فهي وسيلة يستخدمها المبدع في عملية صنع الصورة الفنية المميزة (1) .

ويتابع البلاغيين في نظرتهم إلى هذه الظاهرة ، فلا يقال: تقديم أو تأخير إلا لما أزيل عن موضعه الذي له، أما العنصر الذي لا ينحرف عن مكانه الأصلي فلا يقال فيه ذلك .

(1) علم المعاني ومقتضى الحال : 87 .

(2) ينظر البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب : 225-226 .

(1) ينظر : البلاغة والأسلوبية ، د. محمد عبد المطلب : 271-272 .

ويتابعهم في المعاني الإضافية التي تقدمها هذه الظاهرة ، ففي حديثه في المسند إليه يبين ((أن أصله التقديم ، ولا مقتضى للعدول عنه إلا لأغراض حدودها ووصفوها))⁽²⁾.

وهو عموماً يرصد جهود البلاغيين في ذلك ، فيقدم ملاحظات تظهر فيها متابعته لهم ، ويقدم جملة استنتاجات ، ففي حديثه في (الاختصاص) الذي يدور كثيراً في مباحثهم يقول: ((ومسألة الاختصاص هذه جرت البلاغيين إلى دراسة أنماط من التعبير ، تقوم أساساً على العدول عن الصياغة العادية المألوفة التي تعتمد على عقلانية الأداء))⁽³⁾.

ثم يتناول جملة من النماذج التي يفيد فيها التقديم الاختصاص ، على ما جاء عند البلاغيين ، ويرى أن هذا الغرض هو أكثر المعاني وروداً في الاستخدام .

ونجد عنده أمراً يخالف فيه ما كان قد قرره من قبل ، إذ يرى أن المبدع يخرج على نظام اللغة ، فيتخلى عن الرتب المحفوظة بانتهاكها ، ذلك أن ((أهمية المعنى تأتي من أهمية موقع الكلمة ، وتحريك الكلمة أفقياً إلى الأمام ، أو إلى الخلف يساعد مساعدة بالغة في الخروج باللغة من طابعها النفعي إلى طابعها الإبداعي))⁽¹⁾.

ثم يقرر أن الجملة العربية لا تتميز بحتمية في ترتيب أجزائها ، والرتب المحفوظة إنما تبقى محفوظة في الفكر النحوي ، ولكنها تنتهك في الاستخدام ويبين الباحث أن الجرحاني قد لاحظ ذلك ⁽²⁾ .

ولا يحتاج لملاحظة الجرحاني هذه ، وقد رأينا سابقاً أن الجرحاني كان يتابع جمهور النحاة ، ولم نجد عنده خروجاً على ما أقروه : ولا سيما في الأشكال التعبيرية ، وقد كان توسعه في مبحث الدلالة.

ويتناول د. محمد عبد المطلب تحليل الجرحاني لقوله تعالى : ((وجعلوا لله شركاء الجن)) ⁽³⁾ .

ونرى في ذلك إدراكاً لانتهاك الرتب بتحريك الألفاظ من أماكنها الأصلية إلى أماكن آخر ، وهذه العملية تضفي على الدلالة طبيعة جمالية ، لا نراها مع

(2) البلاغة والأسلوبية : 272.

(3) المصدر نفسه : 273.

(1) جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم ، د. محمد عبد المطلب : 161-162 .

(2) ينظر : البلاغة والأسلوبية : 329 .

(3) الأنعام : 100 .

بقاء الكلام على رتبة الأولى (1) ، ويعلل ذلك بأن ((التقديم أضفى إفادة لا سبيل إليها مع التأخير)) (2) .

ويوضح وجه الإفادة عبر العودة إلى التركيب النحوي ، فيرى أن التقدير مع التقديم أن ((شركاء)) مفعول أول ، و ((لله)) في موضع المفعول الثاني، وتكون ((الجن)) على كلام ثانٍ وكأنما هي جواب عن سؤال في هذا المعنى ، فقل ((الجن)) ، وبذلك يقع معنى الإنكار على كون شركاء الله على الإطلاق من غير اختصاص شيء دون شيء ويتأسس على ذلك إنكار اتخاذ الشريك من غير الجن.

أما إذا لم يحصل من الكلام تقديم وتأخير ، فقل : ((وجعلوا الجن شركاء الله)) كأن الجن مفعولاً أول ، والشركاء مفعولاً ثانياً ، وكانت (شركاء) مخصوصة غير مطلقة ، وعلة ذلك أنها خبر عن الجن ، فلا يصح أن تكون عامة فيهم وفي غيرهم ، وهذا – على ما يظهر – تعليل نحوي يحاول فيه صاحبه أن يوضح تعليل البلاغيين ، ويستنتج بذلك أن النظم عظيم الشأن يؤثر في المعنى تأثيراً بالغاً ، لأن كل تغيير في النظام التركيبي يترتب عليه تغير الدلالة وانتقالها من مستوى إلى آخر (3) .

وتتناول أيضاً مسألة (العناية والاهتمام) ، ويفهم من حديث عبد القاهر الجرحاني فيها أنه يرى قصور النحويين فيها ، ثم بين أن ما رآه غير دقيق مستدلاً بما وجدته عند سيبويه من ذلك، وبما عاده فنقله عبد القاهر من حديثه عن الابتداء (4) ، إذ قال د. محمد عبد المطلب : ((أن ما قال به عبد القاهر عن قصور النحاة هنا،

(1) ينظر : البلاغة والأسلوبية : 329 .

(2) المصدر نفسه : 330 .

(3) ينظر : البلاغة والأسلوبية : 331 .

(4) ينظر : البلاغة والأسلوبية ، 331 .

غير دقيق ، فسيبويه في الحقيقة لم يقتصر في بيان سر التقديم على العناية والاهتمام، بل جعله يأتي أحيانا لتنبيه المخاطب وتأكيد الكلام)) (1).

ود. عبد المطلب في كل ذلك كان يحاول في حديثه بسط المعاني التي ذكرها عبد القاهر في مبحث التقديم والتأخير ، مستعيناً بجهود العلماء (2) . لغرض إبراز بعض الجوانب التي تميزت بها دراسة عبد القاهر، فيرى أن إدراكه بسياق التقديم والتأخير قائم ((على نظرة عميقة إلى عنصرين قائمين في الصياغة، هما : الثابت والمتغير)) (3)، فالثبات يتمثل في وجود طرفي الإسناد ومتعلقاتهما ، والتغير يتمثل في نقل أحد هذه العناصر من مكانه الأصلي إلى مكان آخر (4) .

وفرق د. عبد المطلب بين المعنى والدلالة ، ورأى أن المعنى لا يتغير، سواء أقدمنا الشيء أم أخرناه ، أما الدلالة فتتغير ، وهي المفهوم الناتج عن الصياغة الأدبية الإبداعية ، واستعان هنا أيضاً بتحليل عبد القاهر الجرجاني الأنف الذكر لقوله تعالى : ((وجعلوا لله شركاء الجن)) ويأخذ على البلاغيين في هذا الموضوع عدم

إدراكهم فلسفة الرجل في هذا المبحث ((فنتبعوا كل تعبير رصدوا فيه تقدماً وجعلوه سياقاً قائماً بذاته ، ثم قسموا هذا التقديم إلى ما يتصل بالمسند إليه ، وما يتصل بالمسند ، وما يتصل بمتعلقات الفعل)) (1).

ويرى أن سياقات هذا المبحث تقسم بالنظر إلى ارتباطها بالمتكلم ، أو المتلقي، أو بطبيعة الصياغة ، فرأى أن التبرك بالمسند إليه، أو التلذذ بذكره ، أو الاهتمام به يرتبط بالدرجة الأولى بالمبدع ، في حين أن الاعتبارات التي تتصل بالمتلقي تتمثل في سياق التشويق ، أو محاولة تعديل فكر المتلقي إذا كان الأخبار عن المسند إليه بأمر مستغرب خلاف ما قد يتبادر إلى الذهن كقولنا : الزاهد يشرب ويطرب ، أو في تعجيل المسرة له ، أما السياقات التي تتعلق بطبيعة الصياغة فقد لاحظها في تقوية الحكم بين المسند والمسند إليه ، وفي تخصيص المسند بالمسند إليه (2).

ويتوصل أخيراً إلى أن ((كل ما يعيب هذه الدراسة أنها ظلت في إطار الجملة البليغة ، ولم تحاول تجاوزها إلى القطعة البليغة ، والإفادة بهذا المنهج الأسلوبية في دراسة قصيدة مكتملة أو دراسة شاعر ، أو دراسة عصر من العصور)) (3) ، ويرى

(1) البلاغة العربية (قراءة أخرى) د. محمد عبد المطلب : 238 .

(2) ينظر : البلاغة والأسلوبية : 330-337 .

(3) ينظر : المصدر نفسه : 333 .

(4) ينظر : المصدر نفسه : 334 .

(1) البلاغة والأسلوبية : 334 .

(2) ينظر : المصدر نفسه : 334-337 .

(3) المصدر نفسه : 337 .

أن البلاغيين قد عدوا التقديم والتأخير نوعاً من الانحراف عن النمط المثالي للغة ، وهذا الانحراف يمثل – في نظره – نظاماً على الرغم من مخالفته لسنن النحاة في رتبهم المحفوظة⁽⁴⁾.

والتفكير في الصياغة الأدبية يبنى على مجموعة من الخصائص الطارئة، فتتكشف العناصر المكونة لها، ثم وظائفها الدلالية مما ينتج منظومة متكاملة من السمات ، وهذا الأمر يراه في التراكيب اللغوية عامة ، سواء أكانت أدبية أم غير أدبية ، لأن الانحراف قد يحدث في النوعين ⁽¹⁾.

موقف د. صلاح فضل :

ربط د. صلاح فضل بين التقديم وبين الحذف والإضافة ، فرأى إمكانية اعتبار التقديم والتأخير ((من قبيل الحذف والإضافة لأنهما يتضمنان حذف عنصر من مكانه أو موضعه وإضافته إلى موقع ليس له)) ⁽²⁾ . ويرى أحد الباحثين المتحدثين – ونحن معه – أن التقديم والتأخير أسلوب مستقل عن الحذف والإضافة ((فليس في التقديم والتأخير حذف. وكذا ليس فيهما إضافة. وإنما هما تصرف في مواقع الكلام فحسب، هو إن شئت تصرف في البناء النحوي للجملة)) ⁽³⁾.

الملخص :

حظي أسلوب التقديم والتأخير بالاهتمام من لدن النقاد القدامى ، إذ أكتسب هذا الأسلوب أهمية خاصة من حقيقة أنه يخضع في كل لغة للطابع الخاص بها فيما يتعلق

(4) ينظر : المصدر نفسه : 338.

(1) ينظر : البلاغة العربية قراءة أخرى : 234 .

(2) بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل : 87 .

(3) الأنزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، د. أحمد محمد ويس : 125-126 .

بترتيب الأجزاء داخل الجملة. وقد يبدو أن لا خلاف حول ما يقوم به التقديم والتأخير من أثراء لأدبية الأدب .

إن المتأمل في الإشارات الواردة عن النقاد القدامى يدرك أنها تنبئ عن تنبه لأثر التقديم والتأخير في التعبير الأدبي ، إذ جعل النقاد القدامى من التحليل مدخلا للحديث عن هذا الأسلوب ، وأكثروا من سوق الشواهد دليلا على ما ذهبوا إليه من آراء .

وقد ترددت هذه الآراء بين معياري الإجادة والإساءة ؛ فالقليل منهم على استجادة هذه الوسيلة الأسلوبية ، وأهمية توظيفها لإثراء النظم ، في حين إن الكثرة الكاثرة على استقبحها ، والاعتقاد الراسخ بكونها أحد أهم وسائل التعقيد والمعاظلة والالغاز . وأيا ما كان الأمر فالذي يعيننا هنا هو التنبه والوعي الذي أبداه النقاد في مؤلفاتهم لأسلوب التقديم والتأخير وما استدعاه ذلك من عناية ، وما استلزمه من تحليلات ذوقية ، واستنتاجات دلالية رائعة .

ويجد القارئ أن مباحث النقاد المحدثين تركزت على جملة من المسائل التي ترتبط بالأسلوب، ومن ذلك اهتمامهم بالصياغة، ولا سيما في جانبها الأدبي الإبداعي، إذ يتم الوصول إلى هذا الجانب عبر التقديم والتأخير، وتراهم في ذلك يتابعون عبد القاهر الجرجاني الذي كان يرى أن التغير في الفكر يؤدي إلى تغير في الصياغة، فالجملة تتكون من عناصر تقوم بينها علاقة ارتباط، ولا بد فيها من أن ترتب على هيئة من الهيئات، الأمر الذي يعني أن أحدها سيأتي بعد الأخرى،

لأن من المحال النطق بعنصرين صوتيين دفعة واحدة، إذن سيكون النطق بأحدهما سابقاً على النطق بالأخرى، وسيكون ذلك مرتبطاً بحركة الفكر التي ترتبط بها حركة الصياغة، فالحركة الخارجية ما هي إلا صورة للحركة الداخلية للمبدع، وهي تقوم على المفردات أولاً ثم تأليفها من جمل، وفي النهاية تشكيل الخطاب⁽¹⁾. ويقابل هذه العملية عملية أخرى، وهي إعادة الصياغة أو الفهم، والتي تعنى بالطريقة التي يستخدمها المتلقي في تفسير النص، وهذا أمر يختلف بين باحث وآخر، تبعاً للثقافة التي يتمتع بها كل متلقٍ⁽²⁾ .

وتراهم قبل كل شيء يعنون ببسط أفكار عبد القاهر، وإعطائها صيغة تنسجم مع روح العصر ومعطياته ، حتى إن بعضهم يرى أن معظم الجهد البلاغي القديم جهد معاصر بكل المقاييس.

(1) ينظر : بناء الأسلوب في شعر الحداثة – التكوين البديعي، د. محمد عبد المطلب : 53 .

(2) ينظر : حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز، د. سمير معلوف : 238 .

وفي نهاية المطاف من الممكن القول ختاماً لما مضى : إن فن التقديم والتأخير كان ولن يبرح سبباً في كثير من عبقرية الأسلوب وحيويته ، فهو في الحق طاقة إسلوبية ذات معين لا ينضب ، وفيه تتجلى إمكانات المبدع في الصياغة والتعبير.

الفصل الثالث

أنماط التقديم والتأخير في الدراسات البلاغية القديمة والحديثة

أولاً : التقديم والتأخير في الإثبات

- أ- تقديم المفعول به على الفعل والفاعل .
- ب- تقديم الظرف على عامله .
- ج- تقديم الخبر على المبتدأ .
- د- تقديم الحال على صاحبه .
- هـ- تقديم المستثنى على المستثنى منه .

ثانياً : التقديم والتأخير في النفي

- أ- النفي بين الفعل والفاعل .
- ب- النفي المتقدم على صيغة العموم والمتأخر عنها .

ثالثاً : التقديم والتأخير في الاستفهام

- أ- التقديم والتأخير في الاستفهام الحقيقي .
- ب- التقديم والتأخير في الاستفهام التقريري .
- ج- التقديم والتأخير في الاستفهام الإنكاري .

رابعاً : تقديم النكرة و (مثل) و (غير) على الخبر .

- أ- تقديم النكرة .
- ب- تقديم (مثل) و (غير) .
- ج- تقديم إنما .

مدخل :

تعتمد كل مرسلة لغوية على مبدئين أساسيين هما : الاختيار والتوزيع ، ويقع المبدأ الأول على المحور الرأسي للتعبير اللغوي ، إذ يقوم المتقن باختيار مفردات لغوية بعينها ، من بين مجموعة كبيرة من المفردات . ولما كانت قدرة المتقن على انتقاء مفرداته مرهونة بكفايته اللغوية ، ومخزونه اللفظي ، فان قدرته على الإبداع

في هذا الجانب تظل محدودة بحدود ما يمتلكه من مادة لغوية وما يتميز به من قدرة على الاختيار ، والتميز بين البدائل اللغوية التي تتعايش معاً في مخزونه الذهني .

أما مبدأ التوزيع أو التأليف ، فهو يقع على المحور الأفقي التراصفي ، والذي يقوم فيه المتفنن بترتيب المفردات المنتقاة من المحور السابق ، على وفق قواعد النظام اللغوي التي تخضع لها لغة المتفنن ، وتنسيق العناصر اللغوية وترتيبها أفقياً على نحو معين ، تنشأ بينها علاقات نحوية وتركيبية ، تسهم في إفراز الدلالة اللغوية المقصودة⁽¹⁾.

ولما كانت لغة الإبداع تقوم على الخروج عن القواعد اللغوية ، والعدول عنها بما يسمح لها بتحقيق دلالة إضافية إلى المعنى الأساس ، فإن المحور الأفقي يكون أكثر مرونة لاستيعاب أشكال التعبير اللغوية المختلفة ، وأوسع مجالاً لإنتاج مستويات لغوية ، لذا ((لا يمكن أن يكون هناك إبداع إلا حينما يوجد تفكير عميق في الطبيعة التركيبية للغة ، وإلا حينما يوجد صنع جديد لهذه التركيبات وتمثل الحركة الأفقية للصياغة محوراً من محاور الخلق اللغوي ، يعمل بشكل أساسي على تغيير الإطار الثابت للأسلوب ، ولقوانين اللغة وقواعد الكلام))⁽²⁾ .

وإن طريقة رصف المفردات داخل الجملة تخضع لعوامل عدة نحوية وصرفية ودلالية وصوتية ، والتركيز على أحداها يؤثر في عملية النسيج اللغوي تأثيراً مباشراً ، تتحرك على أثره المفردات أفقياً من أماكنها المرصودة لها ، إلى أماكن أخر ذات طبيعة تأثيرية متميزة ، أي أن تحريك المفردات أفقياً إلى الإمام أو إلى الخلف له علاقة بغائية الإبداع الفني ، لأن أي تغيير في مواقع الكلمات إنما يؤدي إلى تغيير في الجانب الدلالي ، وفي المستوى الفني للتعبير ، وان ((الكلمات المختلفة الترتيب يكون لها معنى مختلف ، وان المعاني المختلفة الترتيب يكون لها تأثيرات مختلفة))⁽³⁾ .

وتأسيساً على هذا فإن التقديم والتأخير من أكثر المباحث البلاغية ، التي نالت اهتمام علماء المعاني ، ذلك الاهتمام الذي تجلّى في رصد أنماطه ، وما يؤديه كل نمط من قيمة دلالية أو تأثيرية أو إيقاعية مضافة إلى المعنى الأساس للعبارة ، إذ يتقدم المفعول به على الفعل ، كما يتقدم الظرف على عامله ، والحال على صاحبها ، والخبر على المبتدأ ، والمستثنى على المستثنى منه ، ويقع ذلك كله في الإثبات . أما النفي فله أنماطه في التقديم على ألفاظ العموم (كل وجميع) ، وللاستفهام أنماط عدة تشمل الاستفهام الحقيقي والتقرير والإنكاري ، وتقديم ألفاظ بعينها منها (مثل) و (غير) و (أنما) .

(1) ينظر: نظرية اللغة في النقد العربي : 216

(2) جدلية الأفراد والتركيب ، د. محمد عبد المطلب : 161 .

(3) نظرية اللغة في النقد العربي ، د. عبد الحكيم راضي : 213 .

ومن الجدير بالذكر ان تحريك أجزاء الجملة تقديماً أو تأخيراً لا يتم بطريقة عشوائية ، وإنما يجري على وفق مقتضيات جمالية تتطلبها لغة العمل الأدبي ، وفي إطار الإمكانيات التعبيرية التي يمتلكها النظام اللغوي ، وان تحريك أجزاء الجملة عن مواقعها المحسوسة ليس مطلقاً ، وإنما يظل محصوراً في مناطق نحوية معينة دون مناطق أخرى ، تأبى أن يصيبها أي تغيير في ترتيب أجزائها ،

أي أن أنماط التقديم والتأخير تقتصر على ما يسمى برتبة غير محفوظة ((فلا يتناول التقديم والتأخير البلاغي ما يسمى في النحو باسم الرتبة المحفوظة لان هذه الرتبة المحفوظة لو اختلفت لاختل التركيب باختلالها))⁽¹⁾ . وليس التعقيد اللفظي ، أو ما يسميه ابن الأثير بالمعاضلة ، إلا صورة لهذا الخلل التركيبي⁽²⁾ ، حيث يتم تقديم العناصر الثابتة الترتيب على بعضها البعض .

فمدار الأمر إذن أن أسلوب التقديم والتأخير يدور في إطار الترتيب غير الواجب بين العناصر اللغوية في الجملة التي لا يؤدي تقديمها أو تأخيرها إلى خلل في المعنى ، وإنما تظل محتفظة بوظيفتها النحوية كالابتداء أو الإخبار أو الفاعلية أو المفعولية ... على الرغم من تغير موقعها اللفظي في الجملة .

لهذا فان أنماط التقديم والتأخير المؤسسة على نظام هذه اللغة التي لا تلتزم بجانب الحتمية المطلقة ، تقوم على ثنائية (الثابت والمتغير) التي تقوم على بديهية الكون الكلية ، ويظل الفرق بين متكلم وآخر كامناً في الجزء المتغير عن الثابت⁽³⁾ .

وتتجلى هذه الثنائية في المعادلتين الآتيتين :

الثابت = ما استقر في مكانه

المتغير = ما فارق مكانه المخصص إلى آخر بناءً على علة معينة

أولاً : التقديم والتأخير في الإثبات

أ- تقديم المفعول به على الفعل والفاعل :

يأتي تقديم المفعول به على الفعل للاختصاص وهو ابرز غرض في تقديم المفعول به بل في عموم مسائل التقديم ، وذلك نحو قوله تعالى : ((وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ

(1) اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان : 207 .

(2) ينظر : المثل السائر : 41/2-42 .

(3) ينظر : الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب ، عباس رشيد الدرة : 119 ، وينظر : شعر المتنبي قراءة أخرى ، د. محمد فتوح احمد : 31 و 74 ، وينظر : نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ، د. الفت كمال الروبي : 202 - 203 ، وينظر : الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، د. عبد القادر عبد الجليل : 295 .

كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ⁽¹⁾ وقوله جل وعلا : ((بَلِ اللّٰهُ فَاَعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ))⁽²⁾ .
فان حقيقة المعنى المقصود من الآيتين الكريميتين هو الاختصاص، فالله تعالى هو
المخصوص وحده بالعبادة دون غيره .

وقد يكون تقديم المفعول به على الفعل لرد الخطأ في التعيين جاء في الإيضاح
"وأما تقديم مفعوله ونحوه فلردّ الخطأ في التعيين كقولك (زيداً عرفت) لمن اعتقد أنك
عرفت إنساناً وأنه غير زيد وأصاب في الأول دون الثاني . وتقول لتأكيدهِ وتقريرهِ .
زيداً عرفت لا غيره"⁽³⁾ .

وقد ورد تقديم المفعول به على الفاعل لمزيه يقتضيها المعنى المراد بثه في
نفس المتلقي ، من ذلك قوله تعالى : ((وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ
يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ))⁽⁴⁾ .

قَدَّمَ المفعول به (الذين كفروا) على الفاعل لان السياق على الذين كفروا ،
وتغليظ عقوبة الكفر وبيان عاقبة الكافرين ، وان احتضارهم ليس كاحتضار المؤمنين
، إذ يلقي الكافر عذاباً ومشقة في احتضاره وانه يبدأ صَبَّ العذاب عليه حين التوفي .
فالمقصود هنا تشنيع حالة الكفر وبيان غلظ عقوبة الكافرين فقدم المفعول به (الذين
كفروا) ولو آخره لم يفد هذا المعنى .

ونستطيع ملاحظة الاستنتاجات الأسلوبية بشكل أكثر دقة عند ابن جني ، حين
يربط بين الرغبة في إبقاء الضوء على المفعول ، والمسلك المنزاح الذي تتوجه فيه
العبارة للدلالة على الاهتمام به ، حين بحث بناء الفعل للمجهول ، يتضح هذا من
وعيه – مثل كل البلاغيين – بالأصل النظري المثالي الذي تصاعد منه الانحراف
ذلك ان أصل وضع المفعول أن يكون فضلة ، وبعد الفاعل ، (كضرب زيد عمرا) ،
فإذا عاناه ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا : (ضرب عمراً زيد) فإذا ازدادت
عنايته به قدموه على الفعل الناصب فقالوا : (عمراً ضرب زيد)⁽⁵⁾ .

ويبدو من هذا النص انه يقابل بين ثنائيات من الأنماط الخطابية التوليدية
والمنزاحة بالتحويل الموضوعي للعناصر السياقية ، ويتجلى ذلك في هذه المعادلة
الانزياحية :

(1) البقرة : 172 .

(2) الزمر : 66 .

(3) الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني ، تعليق وشرح وتنقيح د. محمد عبد المنعم خفاجي : 162/2 .

(4) الأنفال : 50 .

(5) ينظر : نظرية اللغة في النقد العربي : 219 .





وكما يتقدم المفعول به على الفاعل تتقدم المفعولات بعضها على بعض كتقديم (الشركاء) على الجن في قوله تعالى : ((وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ))⁽¹⁾ فالآية الكريمة سيقّت للإِنكار التوبيخي ، وهو إنكار أن يتخذ لله شريكاً من الجن أو من غيرهم⁽²⁾ ، أما تقديم (الجن) في قولنا : ((وجعلوا لله الجن شركاء)) فهو اخبار بعبادتهم (الجن) من دون الله ، أي : "كان كلمة شركاء حلت محل الجن وأخذت إعرابها وتقدمت عليها ، فزحزحتها عن مقامها في المعنى ، لان الإعراب فرع على المعنى"⁽³⁾ .

ان التمعن في هذا النص يفضي إلى أن السمة الأسلوبية البارزة لتقديم الشركاء هي تعني أن يكون الجن شركاء لله ، لذلك وجه عبد القاهر الاهتمام إليها وتبسيط الأفكار عليها ، فضلاً عما يتطلبه هذا التقديم من قيم اقتضاها تعديل الكلام ونظمه وتوجيه دلالاته أو معناه توجيهاً صحيحاً ويتحدد هذا بقول عبد القاهر : "فانظر الآن إلى شرف ما حصل من المعنى بان قدم الشركاء واعتبره فانه ينبهك لكثير من الأمور ويدلك على عظم شأن النظم"⁽⁴⁾ .

ب- تقديم الظرف على عامله :

إن أغراض تقديم الظرف لا تكاد تختلف عن غيرها من أغراض تقديم المفعول والحال ونحوها ، وكلها مختبئة داخل معطف العناية والاهتمام ، نحو قوله تعالى : ((إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ))⁽⁵⁾ ، وقوله جل وعلا : ((قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا))⁽⁶⁾ ، فقد اُخِرَ (به) عن (أمنّا) فقال (أمنّا به) وقدم (عليه) على (توكلنا) فقال (و عليه توكلنا) وذلك ان الموطن الأول ليس موطن قصر فالإيمان لا يقتصر على الإيمان بالله ، بل يكون به وبملائكته وبكتبه ورسله واليوم الآخر وغير ذلك ، ولذا لم يقدم (به) ، ولو قدمه لأفاد القصر وكان المعنى لا يؤمنون إلا به ، وقدم الجار والمجرور في (عليه توكلنا) لان التوكل لا يكون إلا عليه .

(1) الأنعام : 100 .

(2) ينظر : دلائل الإعجاز : 286 .

(3) النقد والدراسة الأدبية ، د. حلمي مرزوق : 131 .

(4) دلائل الإعجاز : 287-288 .

(5) البقرة : 156 .

(6) الملك : 29 .

ونحو قوله تعالى : ((وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ))⁽¹⁾ ، ان حقيقة المعنى المقصود من الآية الكريمة هو الاختصاص ، فالوجه تتجه متطلعة إليه سبحانه دون سواه ، لأنه لا يسعها في ذلك اليوم أن تنظر لغيره ، وهذا المعنى يجعلنا على غير وفاق تام مع ابن الأثير إذ يرى ان تقديم الظرف ههنا ليس للاختصاص ، وإنما قُدِّم من أجل نظم الكلام⁽²⁾ . مع انه فسر المعنى بقوله : "تنظر إلى ربها دون غيره"⁽³⁾ ، وعليه فالأولى به أن يشير إلى غرض الاختصاص مع الغرض اللفظي الذي أشار إليه .

وفي قوله تعالى : ((فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ))⁽⁴⁾ ترى د. عائشة بنت الشاطي أن الملحظ البياني في قوله ((وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ)) هو في تقديم ((إِلَىٰ رَبِّكَ)) على الفعل ((ارغب)) ، وهو تقديم يفيد القصر والتخصيص⁽⁵⁾ ، والأحسن انه مع أفادته غرض الاختصاص الذي أشارت إليه قُدِّم لغرض الطلاوة وحسن النظم .

ومنه قوله تعالى : ((قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ))⁽⁶⁾ .

وعند التأمل في الآية الكريمة نرى انه قدم الجار والمجرور (وَبِالْوَالِدَيْنِ) على المصدر العامل (إِحْسَانًا) للعناية والاهتمام ، والملحظ هنا ان فاعل المصدر مستتر يعود على الأبناء والتقدير (وبالوالدين أحسنوا) ولا يخفى على احد ان منزلة الوالدين عند الله أهم وأعنى من منزلة الأبناء ، ولا شك ان هذا التقديم ابلغ واكد من (إِحْسَانًا بالوالدين) وان كان بصيغة الأمر .

ويرى القزويني ومن تبعه من المحدثين في قوله تعالى : ((وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)) ان البلاغة أوجبت تقديم الوعد برزق الآباء وتكميل العدة برزق الأولاد ؛ لان في قوله (مِمَّنْ إِمْلَاقٍ) يشير إلى أن الخطاب موجه للفقراء دون الأغنياء⁽⁷⁾ .

(1) القيامة : 22 ، 23 .

(2) ينظر : المثل السائر : 40/2 .

(3) المصدر نفسه : 39/2 .

(4) الشرح : 7 ، 8 .

(5) ينظر : التفسير البياني للقرآن الكريم ، د. عائشة بنت الشاطي : 76/1 .

(6) الأنعام : 151 .

(7) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني ، تعليق وشرح د. محمد عبد المنعم خفاجي : 167/2 ، وينظر

: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، دراسات تحليلية ، د. منير محمود المسيري : 77 ،

وينظر : خصائص التركيب . دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، د. محمود أبو موسى : 367 .

وارى أنهم لم يلتفتوا الى السياق وما فيه من تقديم رتبة الآباء على الأولاد فتأمل كيف يفسر النص . يرى صاحب مجمع البيان انه لما حكى سبحانه عن المشركين تحريم ما حرموه عقبه بذكر المحرمات فقال سبحانه (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (تعالوا) أي اقبلوا وادنوا (أتل) أي اقرأ ما حرم ربكم أي منعكم عنه بالنهي ثم بدأ بالتوحيد ولما كانت نعم الوالدين تالية نعم الله سبحانه وتعالى في الرتبة أمر بالإحسان إليهما بعد الأمر بعبادته⁽¹⁾ . وقد ورد هذا الترتيب في المحرمات في آية أخرى قال تعالى : ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا))⁽²⁾ ، وقال جل وعلا في موضع آخر : ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا))⁽³⁾ ، وقال جل شأنه في موضع آخر : ((وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا))⁽⁴⁾ .

ان عقوق الوالدين عند الله من اكبر المحرمات بعد الإشراف به لذا يأمر بالإحسان إليهما فيقدم مرتبة الوالدين على مرتبة الأبناء ، وان كان الأصل تأخير الجار والمجرور لتعلقه بالمصدر العامل ، ثم يذكر حرمة أخرى هي قتل الآباء للأبناء من الفقر ، ويعددهم بالرزق ، فهل يعد من البلاغة والحكمة ان يقدم الله سبحانه وتعالى الوعد برزق الأبناء على الوعد برزق الآباء والسياق هو بيان المحرمات بالترتيب ثم تقديم الآباء للعناية والاهتمام ؟ وعليه فقد قدم الوعد برزق الآباء على الوعد برزق الأبناء ؛ لان السياق يقتضي ذلك فان قيل : فلم قال في آية أخرى : ((وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ))⁽⁵⁾ ؟ والجواب ان الآباء في هذه الآية يقتلون أولادهم خشية الفقر لا أنهم مفتقرون في

الحال ، وان قوله تعالى (خَشْيَةً إِمْلَاقٍ) يشير إلى ان الخطاب موجه للأغنياء دون الفقراء الذين يخافون ان تسلبهم كلف الأولاد ما بأيديهم من الغنى فوجب تقديم العدة برزق الأولاد ليأمنوا ما خافوه من الفقر⁽⁶⁾ .

وارى ان هناك سبباً آخر غير ما ذكره البلاغيون وهو ان السياق في هذه الآية يختلف عما هو عليه في الآية السابقة ، إذ تقدمها قوله تعالى : ((إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا))⁽⁷⁾ أي إن الله عالم بأحوال الناس بصيراً بمصالحهم فيبسط على واحد ويضيق على آخر ، وان أمر

(1) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : 474/4 .

(2) البقرة : 83 .

(3) النساء : 36 .

(4) الإسراء : 23 .

(5) الإسراء : 31 .

(6) ينظر : دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم : 77 ، وينظر : خصائص التركيب - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني : 367 .

(7) الإسراء : 30 .

الرزق عائد إليه يتحكم به كيف يشاء ، فلا تقتلوا أولادكم فإننا نرزقهم وإياكم أي إن الله جعل رزقهم معهم فهم لا يشاركونكم في الرزق فلا تخشوا الفقر⁽¹⁾ .

فالمراد هنا - والله اعلم - إن سياق الآية يتحدث عن الرزق ولا يفصل بين هذا الحديث سوى النهي الوارد في قتل الأولاد ، فيكون بذلك قد علّق رزق الآباء على رزق الأبناء ، فان قتلوا أولادهم تأثر رزقهم بذلك ، وقد جعل بعض البلاغيين المحدثين قول الشاعر : (البيت من الطويل)

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى سريع

من قبيل ما تقدم فيه الجار والمجرور (إلى داعي الندى) للضرورة الشعرية التي يستلزمها الوزن والقافية⁽²⁾ . وعند إنعام النظر في تقديم الشاعر للطرف هنا نجد ان غايته قد تتعدى الضرورة الشعرية لتتعلق بأثر نفسي متولد عن قوله : (يلطم وجهه) ، كأن الشاعر يريد أن يسرع بنا لنقيم هذه المقارنة الأليمة بين موقفين : لطم الوجه ، وداعي الندى . لتكون الصورة التي نستشفها تبغض إلينا ابن عمه هذا ، وبها تتضح مرارة الشاعر النفسية⁽³⁾ .

ج- تقديم الخبر على المبتدأ :

وهو من قبيل ما تناوله البلاغيون ضمن تقديم المسند - وحقه التأخير - على المسند إليه ، ويكون التقديم لتخصيص المسند بالمسند إليه ، كقوله تعالى : ((لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ))⁽⁴⁾ ، وقول الشاعر⁽⁵⁾ : (البيت من الطويل)

له همم لا منتهى لكبارها وهمة الصغرى أجل من الدهر

(1) ينظر : مجمع البيان : 534/6 .

(2) ينظر : البلاغة العالية - علم المعاني ، د. عبد المتعال الصعدي : 86 ، وينظر : علم المعاني ، د. درويش الجندي : 89 ، وعلم المعاني - وتاصيل وتقييم ، د. حسن طبل : 118 ، والبيت للأقيشر الاسدي ، ينظر : ديوان الأقيشر الاسدي ، تحقيق خليل الدويهي : 63 .

(3) ينظر : فلسفة البلاغة ، د. رجاء عيد : 78 .

(4) الكافرون : 6 .

(5) البيت نسب لحسان بن ثابت في الايضاح ، القزويني : 36/2 ، وفوات الوفيات ، للكتبي : 220/1 ، ومعاهد التنصيص ، للشيخ عبد الرحيم العباسي : 209/1 ، ولم نعثر عليه في ديوان حسان ابن ثابت ، ينظر شرح ديوان حسان بن ثابت ، ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوقي ، وديوان حسان بن ثابت ، شرح د. يوسف عيد ، وديوان حسان بن ثابت ، تحقيق د. وليد عرفات ، والبيت لبكر بن النطاح في مدح أبي دلف العجلي ، ينظر : عشرة شعراء مقلون ، صنعه الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن : 262 .

يحرص الشاعر عادة على أن يبلغ المعنى إلى المتلقي كاملاً ، وإن يزيل أي إبهام قد ينقص شيئاً منه . لذا رأى الشاعر أن إجراء الكلام على صورته الأصلية (همم له) قد يوهم المتلقي بأن الجار والمجرور نعت للمبتدأ النكرة ، وإن الخبر سيذكر فيما بعد ، لأن الظرف بتأخره عن المنكر يكون بالحمل على الوصف أولى منه بالحمل على الخبر ، فتأخر الجار والمجرور في هذا السياق قد يخل بالغرض الدلالي ، الذي يتمثل في تعظيم الممدوح وتمكينه في القلوب .

ويرى القزويني أن الغرض هنا هو التنبيه على أن المسند خبر لا نعت⁽¹⁾ ، وقد اعترض أحد الباحثين على أن يكون الغرض كذلك ؛ لأن ((التقديم هو إحدى الظواهر الفنية التي تقوم بوظائفها التعبيرية في لغة الشاعر ... ، وما نطن ان الشاعر حين يلجأ إلى التقديم يدور بخلده مثل هذا الغرض الذي ليس سوى لون من ألوان التوجيه الإعرابي))⁽²⁾ ، ويرى أن الغرض هنا هو الاختصاص ، وهو ظاهر جلي كما يبدو من دلالة البيت .

وأما للتفاوت نحو قول الشاعر : عليه من الرحمن ما يستحقه⁽³⁾ ، أو للتشويق إلى ذكر المسند إليه نحو قول الشاعر⁽⁴⁾ : (البيت من البسيط)

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتهم شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

وعند إنعام النظر في البيت أعلاه نلاحظ تشويقاً وهذا التشويق عائد إلى تقدم المسند إليه (ثلاثة) والجملة التي بعدها (تشرق الدنيا ببهجتهم) تجعل المتلقي أكثر تشويقاً وتأهباً لمعرفة من هم الثلاثة الذي تشرق الدنيا ببهجتهم، وبعد إحداثه لكل هذا التشويق راح يذكرهم بادئاً بالشمس منتهياً بالقمر، وقد يكون هذا الترتيب مقصوداً من الشاعر، إذ جعل أبا إسحاق متوسطاً بين الشمس والقمر، ولهذا الترتيب دلالة وهي إن أبا إسحاق أكثر نوراً من القمر، وقول الشاعر⁽⁵⁾: (البيت من الوافر)

وكانار الحياة فمن رمادٍ أواخرها وأولها دخانٌ

(1) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبدیع) ، للقزويني : 59/2 - 60 .

(2) علم المعاني - تأصيل وتقييم ، د. حسن طبل : 116 .

(3) ينظر : أساليب بلاغية ، د. أحمد مطلوب : 171 .

(4) ينظر : البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، د. بكرى شيخ أمين : 162 ، وعلم المعاني ، د. عبد العزيز عتيق : 149/1 ، والبيت لمحمد بن وهيب الحميري ، ينظر : الأغاني ، للأصفهاني : 3/19 .

(5) البيت لأبي العلاء المعري ، شرح سقط الزند : 3 / 1004 .

فكان لتقديم المسند (كالنار) على المسند اليه ما يشوق المتلقي الى معرفة ما بعدها ، لما تشعر به كلمة النار من جليل الخطر ، وندرة توقع المتلقي لما يتلوها في هذا السياق .

يتضح مما تقدم ان غرضين اثنين تنتظم في سلكهما بقية الاغراض في تقديم الخبر على المبتدأ ، او تقديم المسند على المسند اليه في الجملة الاسمية ، وهما تخصيص المسند بالمسند اليه ، والاهتمام بالمسند ، بما يستدعي تقديمه لغاية بلاغية .

ومما يتصل بتقديم المسند أو خبر المبتدأ على المسند إليه أو المبتدأ ، تقديم خبر (كان) وأخواتها على اسمها ، نحو (كان لي في نصرتك حق) ومنه قوله تعالى : ((لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة))⁽¹⁾ ، إلا أن النحاة

يرون امتناع تقديم خبر (ليس) و (مادام) باتفاق بينهم مع خبر (مادام) واختلاف بين الكوفيين والبصريين ، والى ذلك ذهب المبرد وابن السراج⁽²⁾ .

د- تقديم الحال على صاحبه :

يُقدم الحال على الفعل والفاعل للاختصاص ، والتنبيه على هيئة صاحبه ، كقولنا: (ضاحكاً جاء زيد) بتقديمها على الفعل ، وقولنا : (جاء ضاحكاً زيد) بتقديمها على الفاعل⁽³⁾ .

ويوضح ابن الأثير غرض الاختصاص هنا من حيث لو أخر ، يحصل التردد والاختيار المذكوران بين جاء زيد راكباً ، أو ماشياً ، أو ضاحكاً وغيره من الأحوال⁽⁴⁾ ((فان قيل فما العامل في الحال النصب ؟ قيل : ما قبلها من العامل ؛ وهو على ضربين : فعل ، ومعنى فعل ؛ فان كان فعلاً نحو : (جاء زيد راكباً) جاز ان يتقدم الحال نحو (راكباً جاء زيد) لان العامل لما كان متصرفاً ، تصرف عمله فجاز تقديم معموله عليه ؛ وان كان العامل فيه معنى فعل نحو (هذا زيد قائماً) لم يجز تقديم الحال عليه ، فلو قلت (قائماً هذا زيد) لم يجز ، لان معنى الفعل لا يتصرف تصرفه ، فلم يجز تقديم معموله عليه))⁽⁵⁾ . فالعامل في الحال إذن هو الفعل تارة ومعنى الفعل تارة أخرى .

(1) الأحزاب : 21 .

(2) ينظر : فطر الندى وبب الصدى ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد : 133

(3) ينظر : الخصائص ، ابن جني : 384/2 ، وينظر : علم المعاني دراسة - وتحليل ، د. كريمة محمود أبو

زيد : 125 .

(4) ينظر : المثل السائر : 42/2 .

(5) أسرار العربية ، الانباري : 112 .

ويرى عبد القاهر الجرجاني اننا في قولنا : (في دار زيد قائماً) ، ننصب قائماً بما في الدار من معنى الفعل الذي هو استقر وثبت كما نُعمِلُ فيها الفعل المظهر في قولنا : (جاء زيد ركباً) فان كان العامل معنى الفعل لم يجز تقديمها عليه ، فلا نقول : (قائماً في الدار زيد) وان كنا نقول : كل يوم لك ثوبٌ ، فنقدم الظرف الذي هو كل يوم ، على عامله الذي هو لك ، مع انه معنى فعل وليس بفعل محض ، فقد خرج الحال من حكم الظرف من هذا الوجه أي امتناعها من التقديم على عاملها الضعيف ، فإذا كان الفعل المحض يضعف عمله فيما تقدم عليه بدلالة قولهم : زيدٌ ضربتُ ، وامتناعهم من رفع زيد لو أُخِّرَ فأوقع بعد ضربتُ ، فان يضعف عملُ المعنى فيما تقدم عليه أُجدر . فلذلك اجازوا في الدار زيد قائماً ، وفي الدار قائماً زيد ولم يجيزوا : قائماً في الدار زيد⁽¹⁾ .

إن التمعن في رأي الجرجاني يفضي إلى أن الفعل المحض يضعف عمله بالتقديم بدلالة أنهم يقولون: ضربتُ زيداً فلا يجوزون إلا إعماله فإذا قدموا فقالوا : زيداً ضربتُ جوزوا إبطال عمله في الظاهر ، وهو أن يقولوا : زيدٌ ضربتُ ، على تقدير الهاء ، فلولا ان الفعل يضعف عمله بتقديم مفعوله عليه لما صرفوا ضربتُ عن العمل في زيد حملاً له على شيء مضمّر بعده ، ولا امتنعوا من إجازة رفع زيد البتة إذا وقع بعده فلا يقول احدٌ (ضربتُ زيد) على تقدير ضربتُهُ زيدٌ ؛ لأنه واقع بعد الفعل فهو يقوى على العمل فيه⁽²⁾ .

وأبين من هذا انك تقول : زيدٌ ظننتُ مقيماً وزيدٌ مقيماً ظننتُ ، فتلغي الفعل إذا تأخر عن احد المفعولين أو عنهما جميعاً ، حتى لا يكون له عمل في مفعوليه لا لفظاً ولا تقديرًا ، ونعني بالتقدير انك لا تثبت لهما ضميراً فتشغله به كما أثبت

في : زيدٌ ضربتُ هاءً محذوفة (هي ضمير زيد) وإذا تقدم عليها فلم يجز الغاؤه البتة ، فلا تقول : ظننتُ زيدٌ مقيماً . فإذا كان الفعل المحض نحو ضربتُ وظننتُ ، يضعف عمله فيما تقدم عليه كان معنى الفعل فوقه في الضعف فلا يعمل عند تقدم المفعول ، وإذا كان كذلك ، لم يجز قولك : قائماً في الدار زيدٌ ، لان في الدار اذا كان لا يقوى على العمل فيما قبله ، كنت إذا قدمت قائماً عليه بمنزلة من يبطل عمله ، وإذا بطل النصب لم يكن حالاً فيجب أن تقول : قائمٌ في الدار زيدٌ ، على أن تجعله خبر مبتدأ⁽³⁾ .

(1) ينظر : كتاب المقتصد في شرح الإيضاح ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق د. كاظم بحر المرجان : م 672/1

– 673 .

(2) ينظر : كتاب المقتصد : م 674/1 .

(3) ينظر كتاب المقتصد : م 674/1 .

ولا يتفق ابن الانباري - ونحن معه - مع الفرّاء فيما يراه الأخير في عدم جواز تقديم الحال على العامل سواء كان العامل فيه فعلاً أو معنى فعل ، وذلك لأنه يؤدي إلى أن يتقدم المضمّر على المظهر ؛ فانه إذا قال : (راكباً جاء زيدٌ) ففي (راكب) ضمير (زيد) وقد تقدم عليه ، وتقديم المضمّر على المظهر لا يجوز ؛ وهذا ليس بشيء ؛ لأن (راكباً) وان كان مقدماً في اللفظ إلا انه مؤخر في المعنى والتقدير ، وإذا كان مؤخراً في التقدير جاز التقديم . كما في قوله تعالى : ((فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى))⁽¹⁾ فالهاء في (نفسه) عائدة إلى (موسى) إلا انه لما كان في تقدير التقديم ، والهاء في تقدير التأخير جاز التقديم⁽²⁾ .

هـ تقديم المستثنى على المستثنى منه :

يتقدم المستثنى على المستثنى منه كقولنا : (ما قام الا زيداً أحدٌ) وقولنا : (ما ضربت إلا زيداً أحداً) ، أما تقديم المستثنى على الفعل الناصب له - فيمن يرى أن الناصب في المستثنى هو الفعل الواقع في الكلام السابق على إلا بواسطتها - فلا يجوز عند النحويين ؛ فغير جائز قولهم (إلا زيداً قام القوم) ويعلل ابن جني هذا الامتناع بقوله : ((لمضارعة الاستثناء البديل ؛ ألا تراك تقول : ما قام أحدٌ إلا زيداً وإلا زيدٌ والمعنى واحد . فلما جرى الاستثناء البديل امتنع تقديمه))⁽³⁾ .

ويحقق تقديم الاستثناء على المستثنى منه في الكلام غرضاً بلاغياً يُفتقد دونه ، وهو إفادة الحصر ؛ ففي قولنا ((ما ضربت إلا زيداً أحداً)) بدل قولنا : ((ما ضربتُ أحداً إلا زيداً)) يفيد انه لا مضروب للمتكلم سوى زيد⁽⁴⁾ .

وفي المخطط الآتي بيان أنماط التقديم والتأخير في الإثبات ضمن ثنائية (الثبات والمتغير) والأغراض التي يفيدها كل نمط :

(1) طه : 67 .

(2) ينظر : أسرار العربية : 112 .

(3) الخصائص ، ابن جني : 382/2 ، وينظر : هامش شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد : م 211/2/1 .

(4) ينظر : الطراز ، للعلوي : 73/2 .

ثانياً " التقديم والتأخير في النفي

للتقديم والتأخير في صيغة النفي دلالات بلاغية عميقة ، تحمل في تضاعيفها فروقاً دقيقة في استخدامات المتفنين وإفهام المتلقي ، وسبيل النفي في الكلام ((ما)) التي تفيد النفي صراحةً لا ضمناً⁽¹⁾ .

ويتعلق هذا المحور في حال النفي بما يقع في حال الإثبات من تقديم الفاعل والمفعول والجار والمجرور وغيرها ، وكذا تقديم ألفاظ العموم ((كل وجميع)) .

(1) ينظر : دلائل الإعجاز : 124 .

أ- النفي بين الفعل والفاعل :

قد يتقدم النفي الفعل تارةً والفاعل تارةً أخرى ، وتكون دلالة الكلام في كلٍ منهما ذات مغزى يختلف في الأولى عن الأخرى ، بحيث يتضح الفرق ما بين قول القائل: ((ما ذهبْتُ)) ، وقول الآخر: ((ما أنا ذهبْتُ)). أنَّ الأول ينفي عن نفسه فعلاً غير ثابت الوقوع ، أما الآخر فينفي عن نفسه فعلاً ثابت الوقوع ، فتقديم الاسم (الفاعل) – لا شك – مقتضى وقوع الفعل وثبوته ، ومن ذلك قول المتنبي⁽¹⁾:
(البيت من السريع)

وما أنا أسقمت جسمي به وما أنا أضرمت في القلب نارا

إن هذا السقم الكائن في جسمي وهذا الضعف والهزال واصفرار الوجه لم افعله أنا ، وإنما فعله غيري ، وقوله : ((ولا أنا أضرمت في القلب نارا)) أي إن هذا الجوى وهذا الوجد الذي يستعر في فؤادي لم أشعله أنا ووراء هذا التركيب معنى لطيف هو عجز الشاعر أمام عواطفه المشبوبة والتي سببت هذا السقم وهذا الوجد ، وكأنه يقول : ((لو كان الأمر بيدي لأنقذت نفسي من هذا الذي أجده ، ولكن لا طاقة لي بذلك . فالسقم موجود في جسمه غير انه لم يوجد هو ، فهو ينفي عنه الفعل ويثبت له غيره))⁽²⁾ ، وكذلك قوله⁽³⁾ : (البيت من الطويل)

وما أنا وحدي قلت ذا الشِعْر كُلُّهُ ولكن لشعري فيك من نفسه شعْرُ

فالشاعر ينفي أن يكون هذا الشعر المشار إليه المعروف لدى المخاطب قد قاله وحده ، وإنما قال معه غيره ، وهذا الغير هو الشعر نفسه ؛ لأنه شعر شاعر ، والشعراء يرددون معانيه وصوره ويعيدونها إلى الممدوح .

ويحدد عبد القاهر في الفرق بين الحاليين السابقين أمورا يرى أن الشك في هذه الاستعمالات يرتفع بها ، منها : صحة تقديم النفي يليه الفعل لنفي قيام المتحدث به ، ثم ينفيه عن سائر الناس ، فيقول : ((ما قلت هذا ، ولا قاله أحد من الناس)) وإن خطأ تقديم النفي يليه الاسم أو الضمير ((أنا)) ثم الفعل ، أنه يوقع في الخلف الذي هو رديء القول ، ومن ذلك قول قائل : ((ما أنا قلت هذا ولا قاله أحد من الناس))⁽⁴⁾ .

(1) شرح ديوان المتنبي ، وضعه البرقوقي : م 1 / ج 2 : 197 .

(2) ينظر : دلائل الإعجاز : 125 .

(3) شرح ديوان المتنبي ، وضعه البرقوقي ، م 1 / ج 2 : 263 .

(4) ينظر : دلائل الإعجاز : 125 .

ومن هذه الأمور التي يُحدِّدُها عبد القاهر في هذا الإطار أيضاً إن صحة الكلام قول القائل : ((ما ضربتُ لا زيدا)) بينما يكون اللغو قوله : ((ما أنا ضربت إلا زيدا)) ويعلل ذلك بقوله : ((إن نقض النفي بـ (لا) يقتضي أن تكون ضربت زيدا وتقديمك ضميرك وإيلاؤه حرف النفي ، يقتضي نفي أن تكون ضربته ، فهما يتدافعان))⁽¹⁾ .

ب- النفي المتقدم على صيغة العموم والمتأخر عنها :

يتناول البلاغيون هذا النوع من التقديم والتأخير تحت عنوان مشهور عندهم هو نفي العموم وعموم النفي ، فمن عموم النفي قول القائل : ((كُلُّ هذا لم أفعله)) وهو ينفي الإثبات الخاص ، بحيث لا يصح قوله إذا فعل بعضه . أما نفي العموم فكقول القائل : ((لم أفعل كل هذا)) ولا ينفي قوله إثباتاً خاصاً ، بحيث يصح قوله : ((لم أفعل كل هذا بل بعضه))⁽²⁾ .

ومذهب عبد القاهر الجرجاني يدور على أن إفادة عموم النفي مبنية على تقديم أداة العموم على حرف النفي لفظاً ورتبة .

فإذا عكست ، فقدمت حرف النفي على أداة العموم انعكس المعنى ، فأفاد نفي العموم⁽³⁾ .

ويرى عبد القاهر أن كلمة (كل) في النفي ، إذا أدخلت في حيزه ، بان قدم عليها لفظاً كقول أبي الطيب⁽⁴⁾ :

ما كلُّ ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فالمرء يدرك بعض ما يتمنى ، ولا يدرك البعض الآخر ، وفهم من البيت هذا المعنى ، لأنه قدم النفي على أداة العموم . وقول أبي العتاهية⁽⁵⁾ : (البيت من البسيط)

(1) دلائل الإعجاز : 126 .

(2) ينظر : علم معاني دراسة – وتحليل ، د. كريمة أبو زيد : 96 .

(3) ينظر : دلائل الإعجاز : 283 ، 284 ، 285 ، وينظر : دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم : 75 ، وينظر : علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني ، د. محمد احمد قاسم ، د. محي الدين ديب : 335 .

(4) شرح ديوان المتنبي ، وضعه البرقوقي : م 2 / ج 4 / 366 .

(5) أبو العتاهية أشعاره وأخباره طبعه محققه على مخطوطتين ونصوص لم تنشر من قبل ، غني بتحقيقها د. شكري فيصل : 112 .

ما كل رأي الفتى يدعو إلى رشد إذا بدا لك أمرٌ مشكلٌ فقف

أي ان رأي الفتى لا يكون صواباً في كل الأحوال ، فهناك بعض الأمر يقصر فيها والذي أفاد ذلك تقديم أداة النفي على لفظ العموم ((كل)) ، وقول الإمام الشافعي⁽¹⁾: (البيت من الطويل)

فما كل من تهواه يهواك قلبه ولا كل من صافيته لك قد صفا

فليس كل أمانى المرء متحققة حاصلة ، قد يدرك المرء شيئاً مما يتمناه ، وكذلك الحال للبيت الثاني فرأي الفتى قد يدعو الى الرشد ، وليس كل رأي الفتى

يدعو للرشد ، وكذا الحال في بيت الامام الشافعي فليس كل من تهواه يمكن ان يهواك قلبه ، ولا كل شخص تصافيه يبادلئك الشعور نفسه⁽²⁾ .

هذا هو مذهب عبد القاهر الجرجاني فإن (كل) اذا قُدمت على الفعل المنفي ، وأعمل فيها – لان العامل رتبته التقدم على المعمول – كقولك : ((كلّ الدراهم ام آخذ ، بنصب (كل) ، ف (كل) ما زالت داخلة في حيز النفي فأفادت نفي الشمول⁽³⁾ .

أما في قولنا ((لم آخذ كل الدراهم)) فإن (كل) دخلت في حيز النفي لفظاً وتقديراً ، ويكون مسلطاً عليها وعاملاً فيها . ويكون المعنى ، أنني آخذُ قسماً من الدراهم لا كلّها ، يقول الجرجاني : ((إنا إذا تأملنا وجدنا أعمال الفعل في (كل) والفعل منفي ، لا يصلح أن يكون إلا حيث يراد أن بعضاً كان وبعضاً لم يكن))⁽⁴⁾ .

أما إذا خرجت (كل) من حيز النفي لفظاً وتقديراً ، فتفيد معنى غير المعنى الذي ذكرناه ، لكونها تُسلط على النفي وتعمل فيه وفي الفعل ، فيكون الفعل مبنياً عليها⁽⁵⁾ ، يقول الجرجاني : ((وإذا أخرجت (كل) من حيز النفي ولم تدخله فيه ، لا لفظاً ولا تقديراً كان المعنى على أنك تتبععت الجملة ، فنفيت الفعل و الوصف عنها واحداً واحداً ، والعلة أن كان ذلك كذلك ، انك إذا بدأت (بكل) كنت

(1) ديوان الإمام الشافعي : 60 .

(2) ينظر : البرهان في علوم القرآن ، للزركشي : 1 / 54 .

(3) ينظر : أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم ، د. محمود السيد شيخون : 65 .

(4) دلائل الاعجاز : 278 .

(5) ينظر : التقديم و التأخير في القرآن الكريم ، حميد أحمد عيسى العامري : 89 .

قد بنيت النفي عليه ، وسلطت الكلية على النفي وأعملتها فيه وإعمال معنى الكلية في النفي يقتضي أن لا يشذ شيء عن النفي ((⁽¹⁾).

ومن بين الأمثلة التي ذكرها الجرجاني⁽²⁾ قول النبي (صلى الله عليه واله) حين سأله ذو اليدين ((أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟)) فقال النبي (صلى الله عليه واله) ((كل ذلك لم يكن)) فقال ذو اليدين: ((بعض ذلك كان))⁽³⁾.

وقول دعبل⁽⁴⁾. (البيتان من الطويل)

فو الله ما أدري بأي سهامها رمتني ، وكلّ عندنا ليس بالمكدي
أبالجيد ، أم مجرى الوشاح ، وإنني لأتهم عينيها مع الفاحم الجعد

المعنى على نفي أن يكون في سهامها مكد ، أي أن كل محاسنها كالسهم التي تصيب ، ولو قال : ((وليس كل عندنا بالمكدي)) لأفاد أن بعض محاسنها لا تصل في فعلها فيه إلى الغاية ، فبعضها كالسهم الصائبة ، وبعضها كالسهم الطائشة⁽⁵⁾. وفي المخطط الآتي بيان أنماط التقديم والتأخير في النفي ضمن ثنائية (الثابت والمتغير) :

(1) دلائل الاعجاز : 285 .

(2) ينظر : المصدر نفسه : 282 .

(3) ينظر : النهاية في غريب الحديث والاثار ، ابن الاثير : 4 / 70 .

(4) ديوان دعبل : شرح حسن محمد : 65 .

(5) ينظر : دلائل الاعجاز : 282 .

ثالثاً : التقديم و التأخير في الاستفهام :

يختلف الاستفهام عن باقي أنواع أساليب الطلب في أنَّ حركة المعنى فيه ، تنتقل من الخارج لتنتقل في الذهن ، في حين أن الأنواع الأخرى ، تنتقل الحركة فيها من الذهن لتتحقق في الخارج ففي الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في الذهن نقش مطابق له . ومعنى ذلك ان الاستفهام يتعلق أساساً بحاجة المتكلم الذهنية الى فهم ما يجهله في الواقع الخارجي ، فيطلب له تصوراً في ذهنه ، ليحصل منه على الفائدة الدلالية المنشودة (1).

وإذا كان الاستفهام يخصص في اللغة لفهم ما هو مجهول لدى المتكلم ، فإنَّ المبدع قد يُوسع من دائرته ووظيفته ليربط به معاني كثيرة تجعله أكثر خصوصيةً للدلالة على إحساسه بالأشياء ، وكيفية رؤيته لها .

إن المتفنن - بطبيعته - يتعايش مع الأشياء و الأحداث التي تحيط به ، وتلك المعاشية لا بدَّ أن تولد لديه نوعاً من الإحساس بها ، ينعكس بالضرورة على لغته ، لكنَّه في معظم الأحيان لا يعبر عن أحاسيسه أو معاينة بطريقة مباشرة وصريحة ، تذهب برونقها ، وإنما يحاول بكلِّ ما يمتلك من وسائل تعبيرية ، وإمكانات فنية أن يقدم المعنى مغلفاً بشيء من الغموض الذي يوحي ولا يعبر ، كي ينشط ذهن المتلقي ، ويحركه في استيحاء المعنى المراد والاندماج في العملية اللغوية .

فكثيراً ما يكون المتفنن عالماً بمضمون السؤال ، بحيث لا تبدو هناك حاجة إليه ، لكنه يعرضه ليحقق منه وظيفة أخرى غير طلب الإجابة تساهم في إضفاء نوع من الحركة الذهنية على الصياغة ، فلا يصل المتلقي إلى تلك الدلالة المقصودة إلا بعد القيام بعدة حركات ذهنية تفسر طبيعة العلاقات الغائبة ، التي تربط بين ظاهرة الصياغة و الدلالة المجازية التي يمكن أن يتوصل إليها .

لذلك رأى البلاغيون أنَّ أسلوب الاستفهام في الاستعمال الأدبي كثيراً ما تتولد منه معاني مجازية بمعونة قرائن الأحوال ، تتصل في مجملها إما بالتعبير عن مواقف شعورية لدى المتفنن تعكس إحساسه بالأشياء كالتمني و التعجب الخ ، وإنما بإقناع المتلقي و التأثير عليه كال تقرير و الإنكار و التوبيخ وغيرها (2).

(1) ينظر : عروس الافراح : 255/2 .

(2) ينظر : دراسات في البلاغة العربية ، د . عبد العاطي غريب علام : 43 .



أ. التقديم والتأخير في الاستفهام الحقيقي :

يحكم الاستفهام بالهمزة مع الفعل الماضي غرض المتكلم إذا تقدم الفعل تارة و الاسم تارة أخرى بعد همزة الاستفهام ، وقد جعل عبد القاهر الجرجاني المستفهم عنه ما يلي الهمزة مباشرة ، فإذا كان الغرض من السؤال متعلقاً بمعرفة الفعل نفسه تقدم ، وإذا كان متعلقاً بالشك في الفاعل يتقدم الاسم بعد الهمزة ويتأخر الفعل ، ومثاله قول القائل : ((أقلت هذا الشعر ؟)) ، لمن شك في القول وقول الآخر : ((أنت قلت شعراً قط ؟)) لمن شك في الفاعل أهو أم غيره (1).

أما الاستفهام مع الفعل المضارع فهو أما لإرادة الحال أو الاستقبال ، وإرادة الحال شبيهة بما تقدم من الاستفهام و الفعل ماض ، أما إرادة الاستقبال فهو أن يعتمد المتكلم بالإنكار إلى الفعل إذا تقدم بأنه لا يكون أو لا ينبغي أن يكون . ومثال الإنكار للفعل بأنه لا يكون قول أمريئ القيس (2) . (البيت من الطويل)

أَيَقْتُلْنِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجَعِي وَمَسْنُونَةُ زُرُقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

فهذا تكذيب منه لأنسان يُهدده بالقتل ، وإنكار أن يقدر على ذلك ويستطيعه، بدليل أنه قال : ((و المشرفي مضاجعي)) فهذا إنكار تكذيبي بمعنى لا يكون .

ومثال الإنكار للفعل بأنه لا ينبغي أن يكون ، قول عمارة بن عقيل (3) : (البيت من الطويل)

أَتَرْكُ إِن قَلْتَ دِرَاهِمُ خَالِدٍ زِيَارَتُهُ ؟ إِنِّي إِذَا لِلنَّيْمِ

على معنى لا ينبغي لك أن تفعل شيئاً من ذلك .

ففي المثالين أنفي الذكر نجد أن المبدع قد استغل الاستفهام لتحديد موقف معين له من المتلقي ، بتسليط الإنكار على مضمون الاستفهام الذي يمكن للمتلقي أن يعتقد به ، أو يقدم على فعله ، أو بتقريع المتلقي لحمله على عدم فعله في المستقبل ، وبهذا السلوك اللغوي ، يدخل السامع في مشاركة فعلية في إنتاج الجملة الاستفهامية فيكون

(1) ينظر : دلالات الاعجاز : 112 ، ومعاني النحو ، د. فاضل السامرائي : 2 / 470 ، وينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي : 274 - 275 .

(2) ديوان أمريئ القيس ، ضبطه وصححه ، عبد الشافي مصطفى : 125 .

(3) الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد ، مراجعة تغايريد بيضون ، ونعيم زرزور : 1 / 257 . من شعر عمارة بن عقيل قاله في خالد بن يزيد الشيباني ويذم تميم بن خزيمه بن حازم النهشلي .

أكثر التصاقاً بمضمون الكلام وأقوى فاعلية في استيحاء المعنى المراد ، والعلاقة بين الاستفهام والإنكار تأتي من الملابس الدلالية القائمة بينهما .

وقد جعل الرازي ما يجيء من الكلام على طريقة (عمارة بن عقيل) في هذا البيت أن يكون الغرض فيه الاستقباح ، أي استقباح صدور هذا الفعل من فاعله ، وإذا تقدم الاسم فقيل : ((أنت تمنعني ؟)) فالغرض المبالغة في إستحقار المانع⁽¹⁾ .

ويرى الدكتور عبد الفتاح لاشين أن الاستفهام في بيت عمارة بن عقيل ليس عن الفعل (وهو الترك) ، ولا عن الفاعل (وهو المتكلم) ولا يطلب تعيين واحد منهما ، لأن المتكلم متصور لكليهما ، وإنما الشاعر يسأل عن نسبة ترك الزيارة للمتكلم ، و الإجابة تكون بـ (نعم أو بلا) وهذه الهمزة هي همزة تصديق⁽²⁾ .

وفي أحكام التقديم و التأخير في الاستفهام الحقيقي تستوي المعارف و النكرات ، ومثاله قول القائل : ((أجاك رجل ؟)) فالمقصود هل كان مجيء من رجل ؟ وذلك عند تقدم الفعل أما إذا قيل : ((أرجلُ جاء ؟)) بتقديم الاسم النكرة بعد همزة الاستفهام ، فإن المقصود الاستفسار عن الفاعل بعد الحكم بوقوع المجيء الذي هو الحدث نفسه⁽³⁾ .

وطبقاً لهذه الفهم فإن الاسم يتقدم على الفعل بعد همزة الاستفهام بغرض السؤال عن جنس الفاعل مع اليقين بوقوع الفعل ، فيقال : ((أرجلُ جاءك ؟)) أي : أم امرأة ، أو : ((أزيد جاءك أم عمرو ؟)) وكذا إذا تقدم الاسم الموصوف بوصف مفرد ، أو بوصف جملة ، فيكون السؤال حينئذ عن الفاعل لا عن الفعل ، ومثاله قول القائل : ((أرجل طويل جاءك أم قصير ؟)) كان السؤال عن الجائي كان من جنس طوال الرجال أم قصارهم ؟ ، وقوله : ((أرجل كنت عرفتته من قبل أعطاك هذا أم رجل لم تعرفه ؟)) كان السؤال أيضاً عن المعطى : أكان معروفاً للمعطى أم مجهولاً لديه⁽⁴⁾ .

ب- التقديم و التأخير في الاستفهام التقريري

(1) ينظر : نهاية الإيجاز في دراية الاعجاز ، للرازي ، تحقيق وتقديم د. إبراهيم السامرائي ، ود. محمد بركات حمدي : 152 .

(2) ينظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن ، د. عبد الفتاح لاشين : 129 ، وينظر دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، دراسة تحليلية : 71 .

(3) ينظر: حسن التوسل الى صناعة الترسل ، شهاب الدين الحلبي ، تحقيق أكرم عثمان يوسف : 150

(4) ينظر : دلائل الاعجاز : 142 – 143 .

التقرير : احد المعاني التي يخرج الاستفهام عن حقيقته إليها ، فإن الاستفهام لا يكون حقيقياً إلا إذا كان المتكلم جاهلاً بالمسؤول عنه ، أما التقرير فإن المتكلم عالم به ولكنه يريد حمل المخاطب على الإقرار ، والجاؤه إلى ذلك لغرض يكون فيه السامع منكراً لوقوع الفعل من المخاطب ، ولا يختلف الغرض من تقديم الفعل تارة و الاسم تارة أخرى ، بعد همزة الاستفهام التقريرية عنه في الاستفهام الحقيقي ، من حيث إنشغال المبدع بالمتقدم ، والتركيز عليه ، إلا أن الاستفهام للتقرير قد يتجاوز مجرد الاستفهام و الاستفسار إلى تحقيق غرض آخر ، وهو إقامة الحجة على الفاعل ، والسعي نحو إقراره بالفعل إذا تقدم الاسم بعد همزة الاستفهام (1).

ونرى أن دلالة الإقرار هي من الدلالات التي تتعلق بجانب المتلقي ، وفي التقرير يتم حمل المخاطب على الإقرار بنفسه بالمعنى الذي تحمله جملة الاستفهام إثباتاً أو نفيّاً وذلك لإزالة شك قد يتبادر إلى ذهن السامع أو لتلذذ بسماع ذلك منه ، من ذلك قوله تعالى على لسان الكفار : ((أنت فعلت هذا بالهتايا إبراهيم)) (2) . فالاستفهام هنا لم يُحمَل على المعنى الحقيقي ، إذ إنهم لم يستفهموا أوقع كسر الأصنام أم لا ؟ لأنهم يعلمون ذلك ، وهو ماثل أمامهم ، بل أرادوا أن يقر لهم إبراهيم (عليه السلام) بأنه قد فعله ، لذلك كان رده عليهم قائلاً : ((بل فعله

كبيرهم هذا)) (3) . نفيّاً لما طلبوه من نسبة الفعل إليه دون غيره ، فدل ذلك أن المطلوب التقرير بالفاعل لا بالفعل (4).

ج. التقديم والتأخير في الاستفهام الإنكاري

الإنكار : أحد المعاني التي يخرج الاستفهام عن حقيقته إليها ، وهو إما تكذبي بمعنى النفي ، وإما توبيخي . وعلماء البلاغة يرون أن الاستفهام الإنكاري ، كالأستفهام الحقيقي والتقرير ، يجب أن يلي الاسم همزة الإنكار سواء أكان فاعلاً ، أم مفعولاً ، أم غير ذلك (5).

(1) ينظر : دراسات في البلاغة العربية : 48 .

(2) الانبياء : 62 .

(3) الانبياء : 63 .

(4) ينظر : دلائل الإعجاز : 113 – 114 ، وأسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم : 16 ، التقديم والتأخير في القرآن الكريم : 133 .

(5) ينظر : دلائل الإعجاز : 120 ، وعروس الأفراح : 301 / 2 ، والبرهان : 331 / 2 .

فمن صور إنكار الفاعل قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) (1) .

فهذا إنكار للفعل في صورة إنكار الفاعل ، وهذا ابلغ ، لأن المقصود نفي الإذن من أصله ، فإنه لا آذن في التحليل و التحريم إلا الله ، فإذا نفى أن يكون لله إذناً فقد انتفى الإذن وأتى الكلام في صورة نفي الفعل لا الفاعل ، ليكون أبلغ في نفي الفعل (2) .

ومن صور إنكار المفعول قوله تعالى : ((قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْإُنثَيْنِ أَمْآ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإُنثَيْنِ)) (3) .

فعند إنعام النظر في الآية الكريمة ، نلاحظ أن المقصود من النفي نفي الفعل، ولكن لم يُقدم الفعل على الهمزة ، بل أخرج الكلام في صورة نفي المفعول دون الفعل ، ليكون أبلغ في نفي الفعل ، فإن نفيه حينئذ يكون بطريق الكناية و اللزوم وذكر الدعوى مع دليلها كأنه قيل : لو كان هنالك تحريم لكان متعلقاً بواحد من هذه الأمور ، لكن واحداً منها ليس بمحرم ، فليس هناك إذن تحريم ، وذلك أنهم كانوا تارة يحرمون ذكور الأنعام وتارة إناثها ، وتارة ما في بطون الإناث ذكوراً كانت أم إناثاً أم مختلفة ، وينسبون ذلك إلى الله ، فردّ الله عليهم إفكهم بإنكار محل التحريم (4) .

ومنه قوله تعالى : ((فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنْنا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ)) (5) ، وذلك لأنهم بنوا كفرهم على أنه من كان مثلهم بشراً لم يكن بمنزلة أن يطاع ويُتبع ، ويُنتهى إلى ما يأمر ، ويُصدق أنه مبعوث من الله تعالى ، وأنهم مأمورون بطاعته (6) .

ويرى الرازي أن في هذه الآية مسائل :

المسألة الأولى : إن ((قيل : كيف ترك الأجود من قرأ ((أبشرا منا واحداً نتبعه)) ؟ نقول : نظرا إلى قوله تعالى (فقالوا) إذن ما بعد القول لا يمكن (أن يكون) إلا جملة والاسمية أولى ، والأولى أقوى وأظهر .

المسألة الثانية : إذا كان (بشراً) منصوباً بفعل ، فما الحكمة في تأخر الفعل في الظاهر ؟ نقول : قد تقدم مرارا أن البليغ يُقدم في الكلام ما يكون تعلق غرضه به أكثر . وهم كانوا يريدون تبیین كونهم محقين في

(1) يونس : 59 .

(2) ينظر : الكشف : 2 / 277 .

(3) الانعام : 143 .

(4) ينظر : دلائل الإعجاز : 115 .

(5) القمر : 24 .

(6) ينظر : دلائل الإعجاز : 122 .

ترك الإتياع ، فلو قالوا : أنتبع بشراً ؟ يمكن أن يقال: نعم اتبعوه .
وماذا يمنعكم من إتياعه ؟ فإذا قدموا حاله وقالوا : هو من نوعنا
بشر ومن صنفنا رجل ليس غريباً نظن فيه أنه يعلم ما لا نعلم ، أو
يقدر على ما لا نقدر ، وهو واحد وحيد ، وليس له جند وحشم
وخيل وخدم فكيف نتبعه ؟ فيكونون قد قدموا الموجب لجواز
الامتناع من الإتياع (1).

وتأسيساً على ما تقدم فإن التقديم والتأخير في الاستفهام الإنكاري يحقق
غرض ردع المتكلم عما يخوض فيه ، فإذا تقدم الفعل في أمر محال ، فهو إنكار
لوقوعه ، كقولنا : ((أتصعد إلى السماء ؟)) ، وإذا تقدم الاسم فهو إنكار لقدرة
الفاعل على القيام بمثل هذا الفعل المحال ، كقولنا : ((أنت تصعد إلى السماء ؟))
(2).

ونلاحظ مزية أخرى للاستفهام الإنكاري ، وهي أن أسلوبه يُشعر بثقة المتكلم
وإطمئنانه ، وأنه لا يخشى تكديباً ، ولا مخالفة لإيهامه أن السامع أعلم منه بحقيقة
الأمر ، ولذلك يطلب منه الجواب بحسب الظاهر .

رابعاً : تقديم النكرة و (مثل) و (غير) على الخبر

أ. تقديم النكرة :

تتقدم النكرة في الكلام إذا كان المبدع يريد إعلام المتلقي عن جنس المتقدم،
كقولهم : ((رجل جاءني)) لإعلام السامع وتنبيهه إلى أن إلجائي من جنس الرجال
لا النساء ، فقدمت النكرة للتنبيه (3) ، وإذا لم يكن ذلك غرض المتكلم وجب أن يأتي
في كلامه على الأصل ، فيقول : ((جاءني رجل)) ، فإذا وصفت النكرة تطرق
التنبيه إلى مضمون الوصف لا إليها فان قيل : ((رجل طويل جاءني)) فإن القول
متوجه به إلى من ظن أن إلجائي قصير أو من نزل منزلة الظان لذلك (4).

(1) التفسير الكبير ، الرازي : 49 / 29 .

(2) ينظر : دلائل الإعجاز : 120 .

(3) ينظر : دلائل الإعجاز : 142 ، و الايضاح : 1 / 143 .

(4) ينظر : المصدر نفسه ، 143 .

ويقترّب ذلك من القصر بالاستثناء عند تأخير النكرة ، حين بقول القائل : ((ما أتاني إلا رجل)) ، فالمعنى قصر الإتيان على الرجل لدفع توهم السامع أن الآتي امرأة⁽¹⁾ .

وطبقاً لما تقدم نلاحظ أن في ذلك إيماء وتصريحاً بقيمة هذه الفروق في التعبير ، التي تُعد ثمرة دراسات جادة في الجملة العربية ((وليس من العبث أن يشغل البلاغيون – وفي مقدمتهم الجرجاني – أنفسهم بهذه المسألة أو غيرها من المسائل الأخرى المتصلة بالأساليب لولا أن لكل تعبير معناه ، ولكل وضع هدفه ومغزاه . وفي ذلك اتساع في القول وقدرة على التعبير))⁽²⁾ .

ب. تقديم (مثل) و (غير) .

يرى عبد القاهر الجرجاني أن (مثل) و (غير) وهما اسمان من اللازم تقديمهما ، يقول : ((فأنت إذا تصفحت الكلام وجدت هذين الاسمين يقدمان أبداً على الفعل إذا نُحي بهما هذا النحو وترى هذا المعنى لا يستقيم فيهما إذا لم يُقدما))⁽³⁾ ، ومثل الجرجاني لذلك بقول المتنبي⁽⁴⁾ : (البيت من السريع

مثلك يثنى الحزن عن صوبه ويسترد الدمع عن غربه

أي أنت قادر على أن تكف الحزن بصبرك وثباتك ، فلا تدع النفس تبلغ في أحزانها مداها وتسترد الدمع عن جريانه ، فالمتنبي لا يقصد أن هناك شخصاً يماثل سيف الدولة في منع الدمع عن انهماله . وإنما يريد المخاطب .

وفي (مثل وغير) مذهبان في التقديم والتأخير ، الأول يوجب تقدمهما إذا خرجتا عن معناهما الظاهر (كإثبات الشيء لك لا لغيرك) أي يكون الحكم على ما أضيفت إليه كل منهما هو المقصود من الكلام بطريق الكناية ، و الثاني جواز تقديمهما أو تأخرهما إذا كانا على المعنى الظاهر⁽⁵⁾ .

(1) ينظر : المصدر نفسه ، 143 - 144 .

(2) أساليب بلاغية ، د. أحمد مطلوب : 175 .

(3) دلائل الإعجاز : 140 .

(4) أشتهرت رواية هذا البيت بلفظ (المزن) وقد نبه محقق الدلائل أنه خطأ ، وقد وجدناه في الديوان على رواية المحقق ، ينظر : شرح ديوان المتنبي : م 1 / ج 1 : 340 .

(5) ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها ، د. فضل حسن عباس = 227 .

ويرى احد البلاغيين المحدثين إن العرب أثرت تقديم هذين اللفظين ، ((مثل وغير)) إذا استعملا في إثبات الحكم على سبيل الكناية لا على سبيل التعريض بأحد ، وان الغاية التي يحققها تقديم هذين اللفظين هي إن التقديم للتقوية ملائم للكناية من حيث أنها هي أيضا تفيد تقوية الحكم وتثبيته ، إذ هي تفيد إثبات الحكم بالانتقال من الملزوم إلى اللازم فإثبات الحكم فيها كإثبات الدعوى بالدليل والبرهان ، أي إن ابليغيه الكناية من جهة أنها كدعوى الشيء ببينة ، فقولنا : ((مثلك يرى الود)) بمثابة أن نقول : ((أنت ترعى الود لأن من يماثلك يرعى الود)) فهي دعوى مشفوعة ببينة ، والدعوى المشفوعة بالبينة اكد وأقوى من دعوى لا تؤيدها بينة ، وإذن فالكناية والتقديم هنا يتضامنان في إثبات الحكم بالطريق إلا بلغ وهو طريق التقرير والتثبيث (1) ، إما إذا ورد تقديم احد هذين اللفظين بطريق التعريض الذي هو ضد التصريح فقد افتقد الأسلوب جمال الكناية واضطربت الغاية من التقديم (2)

ج- تقديم إنما :

إن دخول (ما) على (إن) في الجملة الفعلية يفيد الاختصاص للمؤخر من الفاعل أو المفعول ، من ذلك قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (3) ، فقد تقدم اسم الله تعالى كما يقول الجرجاني : ((إنما كان لأجل أن الغرض أن يبين الخاشون من هم ويخبر بأنهم العلماء خاصة دون غيرهم . ولو أصر ذكر اسم الله وقدم العلماء فقل (إنما يخشى العلماء الله) لصار المعنى على ضد ما هو عليه الآن ، ولصار الغرض بيان المخشي من هو ، والإخبار بأنه الله تعالى دون غيره ، ولم يجب حينئذ إن تكون الخشية من الله تعالى مقصورة على العلماء وان يكونوا مخصوصين بها كما هو الغرض في الآية ، بل كان يكون المعنى إن غير العلماء

(1) ينظر : علم المعاني ، د. درويش الجندي : 85 ، وينظر : أساليب بلاغية ، د. احمد مطلوب : 170 ،

وينظر : أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم : 62 .

(2) ينظر : علم المعاني ، د. درويش الجندي : 86 .

(3) فاطر : 28 .

يخشون الله تعالى أيضا ، إلا أنهم مع خشيتهم الله تعالى يخشون معه غيره ، والعلماء لا يخشون غير الله تعالى⁽¹⁾ .

طبقا لهذا الفهم فإن تقديم (إنما) في الجملة الفعلية تحقق غرض انحصار الفعل في الفاعل ، كما تقدم في الآية المباركة ، إذ اقتضت انحصار الخشية في العلماء . ويكون حكم المبتدأ والخبر الواقع بعد (إنما) كحكم الفاعل والمفعول ، حيث يقع الاختصاص على المتأخر ، ومن ذلك قوله تعالى : ((فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب))⁽²⁾ .

ففي الآية الكريمة نرى إن الاختصاص في المبتدأ (البلاغ) و(الحساب) دون الخبر (عليك) و(علينا)⁽³⁾ .

الملخص :

استطاع أسلوب التقديم والتأخير أن يؤدي قيما جمالية تتولد من أنماطه المختلفة ، التي تتحكم فيها مزايا عدة ، منها ما يرتبط بالمتقن ، ومنها ما يرتبط بالمتلقي ، وأخرى تتصل بطبيعة الصياغة ذاتها ، فهذه العناصر مجتمعة تقتضي نظاما خاصا للمفردات يتساق مع حاجاتها ومستوياتها المختلفة .

أن الأسباب النحوية للتقديم والتأخير - كما تقدم - عند النحاة أما للعناية والاهتمام وأما للتأكيد أو التنبيه أو يكون المتقدم رتبته أصلاً في الجملة التقدم وبعد مقارنتها ومقابلتها بالأسباب البلاغية عند البلاغيين تبين لنا أن البلاغيين يدورون في فلك النحاة ، أما الأغراض التي ذكرها البلاغيون للتقديم والتأخير هي خروجها إلى التشويق أو زيادة التخصيص أو التقرير فقد ظهرت نتيجة لسعة تفكيرهم ، ولطف نظرهم وكونهم وفقوا إلى هضم زبدة جهود النحاة ، فهذه الإضافات تعد مآثرة من مآثرهم .

ليس معنى التقديم أننا نقدم متى شئنا ولكننا نقدم إذا اقتضى الأمر ذلك ، وإن التعبير الواحد تختلف أغراضه بحسب المقام أو السياق فيكون مرة للاختصاص ويكون مرة أخرى للفخر ، فحينما نقول (تميمي أنا) بقصد التخصيص يمكن لنا أن نطلقه بقصد الفخر والذي يعين ذلك أنما هو المقام تارة والسياق تارة أخرى .

كان لأسلوب التقديم والتأخير سمة التغلغل والانتشار في سياقات الأنساق الأدبية كافة - تقريباً - عبر أنماطه ، ولم يقف هذا الأسلوب عند حد جزيئات اللغة من كلمات

(1) دلائل الإعجاز : 338-339 .

(2) الرعد : 40 .

(3) ينظر : دلائل الإعجاز : 345 .

وجمل يقدم بعضها على بعض وإنما يمتد ليشمل الآيات الكريمات والأبيات الشعرية، وما كان لآية أن تسبق أختها أو موضوع هو سابق لأخيه إلا لنكته بلاغية، ودلالة معنوية يبيثها السياق في مضمونه وبين طياته .

لم يتوقف درس البلاغي لأسلوب التقديم والتأخير عند بعض الألفاظ أو التراكيب دون بعض وإنما أمتد إلى سائر أجزاء الجملة، سواء أكانت المتعلقة بالمسند أم المسند إليه أم كان من المتعلقات التي تلحق بطرفي الإسناد وتمثل داخل الجملة لبنة غير هامشية في تمام المعنى، فكما درس البلاغيون مقامات التقديم والتأخير في الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر، فقد درسوا أيضاً هذه المقامات مع الحال والمستثنى والظرف وغير ذلك ولم تتوقف جهودهم عند مناطات الإثبات فحسب، وإنما تجاوزوها إلى مقامات النفي والاستفهام بما يحقق استيعاباً كاملاً لطرق الخطاب العربي إخباراً وإنشاء .

الخاتمة

تحرص هذه الخاتمة - شأنها شأن غيرها من خواتيم الأطاريح الجامعية - على أن تقدم خلاصة واقعية للموضوع مع أهم النتائج التي توصل إليها البحث عبر هذه الدراسة التي استغرقت مساحة شاسعة من الزمان والجهد، فقد سجلت مجموعة من الخلاصات التي ظهرت لنا بالنظر والاستنباط، وقد ذكرناها في تضاعيف البحث إذ ختم كل فصل بخلاصة مفصلة في مواضعها، ويمكن إجمال بعض هذه النتائج :

❖ إن النظرة المتتبعة تاريخياً للتقديم والتأخير نحويّاً وبلاغياً تظهر لنا أن سيبويه واصل أول قاعدة بلاغية في التقديم والتأخير عندما تكلم على العناية والاهتمام.

وبرز ابن جني كظاهرة فريدة في دراسته للتقديم والتأخير والالتفات إلى دقائق الكلام عن طريق هذا الأسلوب، ودحض بكتابه (المحتسب) في القراءات ما أتهم به النحاة بعدم التفاتهم إلى أغراض التقديم والتأخير بلاغياً. وظهر بعد ذلك الجرجاني مفصلاً حالات التقديم والتأخير في الاستفهام والنفي والإثبات، فظهر بتمييزه عن غيره ممن سبقه، وإن كان قد أعتمد على سيبويه في كثير مما جاء به كالتقديم للعناية والاهتمام، يضاف إلى ذلك أن الجرجاني وضع قواعده البلاغية على أساس توخي معاني النحو، فربط بين المعاني والبلاغة والنحو .

ومن ثم رأينا ابن سنان الخفاجي يورد بعض الآراء في التقديم والتأخير، وقيسها على أبيات شعرية قد أخل في بعضها هذا الأسلوب بالمعنى. وتابع الزمخشري في تفسيره للقرآن، بذكر حالات التقديم والتأخير القرآني، وعمم غرض الاختصاص على آيات القرآن الكريم. وتابعه السكاكي فوضع المسميات للتقديم والتأخير البلاغي.

❖ للتقديم والتأخير اثر بارز في إيصال المعنى المراد وتحقيق بلاغة الجملة عبر إعادة توزيع الألفاظ بما يتناسب مع الدلالة المطلوبة لدى المتكلم والسامع، بغض النظر عن البناء الأصلي الذي يشكل في هذه الظاهرة ركيزة أساسية يمكن العدول عنها لتحقيق هذا الغرض ولكن بمقاييس محددة لا تجور على بناء الجملة الأصلي، ولهذا فقد التفت البلاغيون إلى امتناع تقديم بعض أجزاء

الجملة على بعض، وهم في ذلك يأخذون في اعتبارهم آراء النحاة ، بما يؤكد التزامهم بالبناء الأصلي إذا لم يؤمن اللبس.

❖ لم يتوقف الدرس البلاغي لأسلوب التقديم والتأخير عند بعض الألفاظ أو التركيب دون بعض وإنما إمتد إلى سائر أجزاء الجملة ، سواء أكانت المتعلقة بالمسند أم المسند إليه أم كان من المتعلقات التي تلحق بطرفي الإسناد وتمثل داخل الجملة لبنة غير هامشية في تمام المعنى، فكما توفر البلاغيون على دراسة مقامات التقديم والتأخير في الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر فقد درسوا أيضاً هذه المقامات مع الحال والمستثنى والمستثنى منه والظروف وغير ذلك.

❖ إن التماس البدايات الأولى للدرس البلاغي يجب أن يتم عبر كتب النحو أولاً ، لأن البلاغيين بدأوا تفكيرهم وبنوا صرح البلاغة على جهود من تقدمهم من النحاة واللغويين، فمعرفة علم البيان مفتقرة إلى علم النحو ، ومن تمام آلات البلاغة التوسع في معرفة العربية ووجوه الاستعمال لها، ومن هنا كان التقديم والتأخير مبحثاً نحوياً بلاغياً يتكفل الجانب النحوي بتحديد الأوجه الجائزة من الأوجه الممنوعة في حين يتكفل الجانب البلاغي بالبحث في دلالة تلك الأوجه التركيبية وتعليل تلك الصور تعليلاً دلالياً وفنياً مع الاستئثار بالمغامرة في حقل المعاني الذوقية والخلجات النفسية.

❖ إن نكت التقديم وفوائده كثيرة ، فلا تزام ولا تعارض في تحليل الظاهرة بأكثر من وجه ، فتقديم المسند أو المسند إليه قد يفيد العناية بالمقدم ، ويفيد فضلاً عن ذلك التخصيص والتقوية.

❖ إن نظرية التقديم هي في الحقيقة نظرية في تعدد أنواع التراكيب الممكنة التي يتيحها هذا النهج في حدود ما يسمح به الوضع ، ومن هنا تبدو إمكانية بل ضرورة إيجاد رصيد كامل للإمكانات التعبيرية في اللغة العربية وإحصاء الجمل الممكنة وتمييزها عن غيرها. خاصة إذا علمنا أن العرب كما وضعت المفردات وضعت المركبات، فوضعت باب الفاعل لإسناد كل فعل إلى من صدر عنه، وأجازت تقديم المفعول وباقي المنصوبات ، ومنعت تقدم الفاعل وتقدم الأفعال والأسماء على الحروف العاملة فيها، وتكون بذلك قد وضعت قانوناً كلياً تعرف به المركبات القياسية مثل تقدم المضاف على المضاف إليه والفعل على الفاعل وغير ذلك من كيفيات تركيب أجزاء الكلام.

❖ إن الحرية التي تتمتع بها اللغة العربية في ترتيب أجزائها التركيب تخضع لضوابط تتحكم فيها فتحد من حرية الرتبة وقد تمنعها من الحركة وتلزمها مكاناً واحداً، ومن أهم هذه الضوابط : الصدارة والحصر واللبس، فكلها تتحكم في المراتب وفقاً لقواعد مضبوطة أصلها النحاة في مطولاتهم وإن الإخلال بهذه الضوابط من شأنه أن ينعكس على المعنى ويؤدي إلى خلاف المراد.

❖ إن قواعد التقديم والتأخير وإفادته تختلف باختلاف ضروب القول ، ومما لا شك فيه أن اعتماد اللغويين على مدونة تتألف في جانبها الأعظم من رفيع الموروث الأدبي والقرآن مما سمح لهم باكتشاف طرق التصرف في اللغة، ونبههم على بعض الخصائص النوعية لكل من الشعر والقرآن ودفعهم في نطاق مشاغلهم النحوية إلى مجموعة من التصورات.

ففي القرآن الكريم نجد أن التقديم يمثل مظهراً من مظاهر الأعجاز البياني فيه ، ذلك أن إنزال الكلمات في منازلها واستغلال معطيات التقديم النحوي والجمالي المتمثل في مشاكلة رؤوس الآي وتناسب الفواصل ، وهو مما شغل علماء القرآن والإعجاز والبلاغة ، وأسلوب التقديم والتأخير في النص القرآني لا ينحصر في دائرة تركيب الجمل بل يتناول إلى جانب ذلك مباحث أخرى كترتيب الصفات وترتيب المتعاطفات .

يضاف إلى ذلك أن لغة الشعر تتميز بالضرائر، ويغترف فيها ما لا يغترف في النثر من وضع الكلمات في غير مواضعها وتقديم ما لا يجوز تقديمه في النثر إلا أن هذا التصرف الذي تسمح به اللغة الشعرية لا يعني مخالفة القواعد، وإنما يعني العدول عن الأصل ، ومثل هذا التصرف لا يعني عدولاً عن الأفصح إلى الأقل فصاحة ، وإنما هو يعني عدولاً عن الأصل الذي يقتضيه المنطق الفطري للغة إرضاء لمؤثر آخر غير منطقي، ذلك هو المؤثر الوجداني.

❖ يظهر لمن يطلع على جهود النقاد المحدثين أنهم وقعوا في حيرة وقلق، فكانوا ينظرون إلى التراث العربي بعين ، وإلى الفكر الغربي الحديث بالعين الأخرى ، وقد حاول بعضهم أن يقيم أواصر بين الاتجاهين ، والذي تبين عندهم أنهم كانوا يحتاجون إلى قراءة التراث اللغوي العربي ، حتى يتمكنوا من الحكم عليه ، وتطويره وتجاوزه، وهذا أمر يحتاج إلى جهود جماعية كبيرة ، على ما نظن، ولا يكفي جهد الفرد للوصول إلى نتائج مهمة من ذلك.

❖ إن المتلقي في فلسفة التقديم والتأخير عنصر جوهري يتوقف عليه تكامل المنشئ الإبداعي ، فلا بد من إثارته تشويقاً، وتعديلاً في أواصره الفكرية، وإثرائه بالتنوعات المعرفية.

❖ إن التقديم واقع في بؤرة مباحث الأسلوب ، وهو مظهر من مظاهر أسلوبية كثيرة ، فإذا كان الأسلوب يعرف بأنه اختيار أو انحراف ، فإن التقديم بدوره اختيار من ضمن جملة الانحراف عن الأصل ، وهو يمثل نوعاً من الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية.

❖ قدمت الأسلوبية في إجراءات التحليل الأسلوبي نماذج قولية استطاعت أن تكشف اللثام عن أوجه تشابه ومساحات اتفاق بين الدرس البلاغي والدرس الأسلوبي ، بحيث يتفق الأسلوبيون مع البلاغيين في أن كل تغير في النظام التركيبي للجملة يتبعه تغير في الدلالة فتنتقل من مستوى إلى آخر ، وهذا ما أدركه عبد القاهر من أن أسلوب التقديم والتأخير يقوم على عنصرين أحدهما ثابت ويعنى به أطراف الإسناد وما يتصل بها، والآخر متغير وهو صنيع المبدع داخل الجملة بالتقديم والتأخير ، ذلك الصنيع الذي تترتب عليه دلالات القول.

❖ من الجلي أن تكشف ظاهرة التقديم والتأخير عن العناية المبكرة بفن التشكيل الأدبي (الشعري والنثري) واعتباره في صلب جماليته التي تتجاوز مجرد (انحراف الأصول) إلى ابتداع مستويات من التراكيب تجدد تجربة المتلقي بالنص ونسيجه المستحدث، وتنشئ بين الكلمات ألفة جديدة تنقلها من سياقها التركيبي المألوف إلى سياق مغاير يتم فيه إعادة انتظام الجمل بشكل لافت للقارئ.

❖ إن قضية التقديم والتأخير قضية أسلوبية وتقبلية في آن واحد، فهي بقدر ما توحى بذكاء المبدع في تغيير مواقع الكلمات ، وإخراجها في سلسلة من العلاقات المبتكرة بقصد إنعاش مكونها الدلالي ، بيد أنها – وبالقوة نفسها- تحيل المتلقي إلى تنشيط حسه الجمالي في إدراك الصورة المتغيرة واستيعاب فارق التغيير.

❖ من الخطأ عد التقديم والتأخير مجرد تصرف اعتباطي في قواعد التركيب، وإنما ينبغي عده حركية فاعلة تفيد انتقال وتحول الكلام مما كان عليه في مألوف تصور المتلقي إلى انتظام جديد غايته السحر ، وقد وجدنا أن النقد

البلاغي – في تصور بعض نقاده المعاصرين- قائم على نظرة عميقة إلى عنصرين قائمين في الصياغة ، هما المتغير فيتمثل في تحريك بعض هذه الأطراف من أماكنها الأصلية التي أكتسبها من نظام اللغة إلى أماكن جديدة ليست لها في الأصل، والثابت ونعني به ما أستقر في مكانه.

وأخيراً أقول هذا ما وفقني الله تعالى لذكره وعرضه في هذه الأطروحة فما كان من صواب فهو من توفيق الله سبحانه وتعالى وحده ، وما كان من خطأ أو نسيان أو تقصير أو سهو فمني فما أنا إلا طالبة علم، وطالب العلم لا يزال طالباً ومن ظن أنه علم (أي بلغ الكمال) فقد جهل، وفوق كل ذي علم عليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وبارك وأنعم على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين ، ومن دعا بدعوته وسار على منهاجه إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

القران الكريم



أبو العتاهية أشعاره وأخباره (ت 211 هـ) طبعة محققة على مخطوطتين ونصوص لم تنشر من قبل ، عني بتحقيقها د.شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ، 1956 م .

اثر النحاة في البحث البلاغي ، د.عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، 1970 م

ادب الكاتب ، تصنيف ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، ط4 ، 1382 هـ-1963 م .

أساس البلاغة ، جار الله الزمخشري (ت 538 هـ) قدم هذه الطبعة، د.محمود فهمي حجازي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر، القاهرة ، 2003 م .

أساليب بلاغية ، د. احمد مطلوب ، دار غريب للطباعة، الكويت، ط1، 1980 م .

أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، د.قيس إسماعيل الأوسي، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، 1988 م .

أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم ، د. محمود السيد شيخون ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، 1983 م .

أسرار العربية ، تأليف عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري (ت 577هـ) دراسة وتحقيق محمد حسين شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1418 هـ - 1997م . 

الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د.مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت لبنان ، 1404هـ-1984م . 

الأسلوب والأسلوبية ، د.عبد السلام المسدي ،الدار العربية للكتاب ، ط1 1982 

الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، د.عبد القادر عبد الجليل ،دار الصفاء للنشر ، عمان ، ط1 ، 2002م . 

إشكاليات القراءة واليات التأويل ، د.نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط4 ، 1996م . 

الأصول دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، د.تمام حسان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1988م . 

الإعجاز البياني للقران ومسائل ابن الأزرق (دراسة قرآنية لغوية وبيانية) ، د. عائشة بنت الشاطئ ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، 2004 م . 

الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ، د.احمد محمد ويس ،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط1، 1426 هـ - 2005م . 

الإيضاح في علوم البلاغة – المعاني والبيان والبديع ، محمد عبد الرحمن القزويني (ت 739هـ) شرح وتعليق وتنقيح د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب اللبنانية ، ط2 ، بيروت ، 1980م . 

بحوث بلاغية ، د. احمد مطلوب ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1987 م 

البرهان في علوم القرآن ، أبو عبد الله محمد بن بهادر الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، ط3 ، 1984 . 

البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الحكيم الزملكاني (ت 651 هـ) تحقيق د. خديجة الحديثي ، ود. احمد مطلوب ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط1 ، 1394هـ-1974م . 

البلاغة الاصطلاحية ، د. عبدة قلقيلة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط3 ، 1992م . 

البلاغة الجديدة (مقدمات وتطبيقات) د. بن عيسى باطاهر، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، 2008م . 

بلاغة الخطاب وعلم النص ، د. صلاح فضل ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1992م . 

البلاغة العالية – علم المعاني ، د. عبد المتعال الصعيدي ، قدم له وراجعاه واعد فهارسه د. عبد القادر حسين ، المطبعة النموذجية سكة الشاموري ، مصر ، ط2 ، 1991م . 

البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم المعاني) ، د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1979م . 

البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق ، د. محمد بركات حمدي أبو علي دار وائل للنشر ، عمان ، 2003 م . 

البلاغة العربية قراءة أخرى ، د. محمد عبد المطلب ، دار نوبال للطباعة ، القاهرة الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، 1997م . 

البلاغة عند السكاكي ، د. احمد مطلوب ، مكتبة النهضة ، بغداد ، 1964 . 

البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) ، د. فضل حسن عباس ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ط2 ، 1989م . 

البلاغة والأسلوبية ، د. محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية للطباعة والنشر - لونجمان ، ط1 ، 1994م . 

البلاغة والتحليل الأدبي ، د. احمد أبو حاقه ، دار العلم للملايين، بيروت ، 1993 م . 

بناء الأسلوب في شعر الحداثة – التكوين البديعي ، د. محمد عبد المطلب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، 1993م . 

بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1986م . 

البيان العربي (دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى) د. بدوي طبانة ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ط5 ، 1974م . 

تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق احمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1954م . 

التركيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، د. عبد الفتاح لاشين ، دار الجيل للطباعة ، مصر ، 1980م . 

التعبير القرآني ، د. فاضل السامرائي ، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، 1989م . 

التعبير القرآني والدلالة النفسية ، د. عبد الله محمد الجيوسي ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية سوريا - دمشق ، ط2 ، 2007م . 

التفسير البياني للقران الكريم ، د. عائشة بنت الشاطي ، دار المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط5 ، 1986م . 

التفسير الكبير (أو مفاتيح الغيب) ، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت 606 هـ) ، المطبعة البهية المصرية ، القاهرة ، 1938م . 

التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، حميد احمد عيسى العامري ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ط1 ، 1996م . 

تنزيه القرآن عن المطاعن ، للقاضي عبد الجبار ، دار النهضة الحديثة ، بيروت ، د.ت . 

جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي الحديث ، د. محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، ط1 ، 1995م . 

الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، د. عز الدين علي السيد، دار الطباعة المحمدية بالأزهرية ، دار الكتب ، 1973 م . 

حسن التوصل إلى صناعة الترسل ، شهاب الدين الحلبي (ت 725هـ) ، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف ، دار الرشيد ، بغداد، 1980م . 

حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز ، د. سمير معلوف ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1996م . 

الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، د.ت . 

خصائص التركيب – دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، د. محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة بالقاهرة ، ط2 ، 1980م . 

دراسات في البلاغة العربية ، د. عبد المعطي غريب علام ، منشورات جامعة بنغازي ، ط1 ، 1997م . 

دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ت . 

دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم – دراسة تحليلية ، د. منير محمود المسيري ، مكتبة وهبة ، القاهرة – مصر ، 2005م . 

ديوان أبي تمام (ت231هـ) ، بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف بمصر ، 1965م . 

ديوان الأعشى ، ميمون بن قيس البكري (ت7هـ) ، تحقيق محمد محمد حسين ، نشر مكتبة الآداب بالجماميز . 

ديوان الأقيشر الاسدي (ت80هـ) تحقيق خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي ، 1991م . 

ديوان امرئ القيس (ت80 ق.هـ) ضبطه وصححه عبد الشافي مصطفى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1987م . 

ديوان جرير بن عطية الخطفي التميمي (ت144هـ) شرح محمد حبيب ، تحقيق نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف ، 1970م . 

ديوان حسان بن ثابت الأنصاري (ت50هـ) ، تحقيق د. وليد عرفات، دار صادر ، بيروت ، 1974م . 

ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، شرح د. يوسف عيد ، دار الجيل، بيروت ، ط1، 1992م . 

ديوان دريد بن الصمة (ت9هـ) ، تحقيق د. عمر عبد الرسول ، دار المعارف ، مصر 1985 

ديوان دعبل الخزاعي (ت246هـ) ، شرح حسن محمد ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، 1994م 

ديوان الشافعي ، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت 204 هـ) جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزغبى ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط 3 ، 1974م

رؤى بلاغية في النقد والأسلوبية ، د. ماهر مهدي هلال ، المكتب الجامعي الحديث ، الأزاريطة - إسكندرية ، 2006م .

رسائل الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1965م .

الرسالة العذراء ، ابن المدبر (ت 279 هـ) ، شرح زكي مبارك ، مكتبة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1931م .

سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي (ت 466 هـ) شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة ، 1953م .

شرح ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت 769 هـ) على ألفية محمد جمال الدين ابن مالك (ت 672 هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث - القاهرة ، 1998م .

شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوقي دار الأندلس ، بيروت ، 1980م .

شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة (ت 93 هـ) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 3 ، مطبعة المدني ، 1965م .

شرح ديوان المتنبي (ت 354 هـ) ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، 1938م .

شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الاسترابادي (ت 686 هـ) ، مطبعة الشركة الصحافية العثمانية ، 1310 هـ .

شرح سقط الزند ، أبو زكريا يحيى بن محمد بن الحسن التبريزي ، أبو محمد عبد الله بن السيد البطلانوسي ، أبو الفضل قاسم بن حسين بن محمد ، مطبعة دار الكتب المصرية ، 1947م . 

شعر المتنبي قراءة اخرى ، د. محمد فتوح احمد ، دار المعارف ، مصر ، 1983م . 

شعراء أمويون ، دراسة وتحقيق ، د. نوري حمودي القيسي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1976م . 

ضرائر الشعر ، ابن عصفور الاشبيلي (ت 415 هـ) ، تحقيق إبراهيم محمد ، دار الأندلس ، بيروت ، ط 1 ، 1983م . 

الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي (ت749هـ) ، دار الكتب الخديوية ، مصر ، 1914م . 

عبد القاهر بلاغته ونقده ، الدكتور احمد مطلوب ، دار العلم للملايين ، بيروت ط 1 ، 1973 . 

عبد القاهر الجرجاني والبلاغة العربية ، د. محمد عبد المنعم خفاجي المطبعة المنيرية ، القاهرة ، 1952 م . 

عروس الافراح ، شروح التلخيص ، بهاء الدين السبكي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، د.ت . 

عشرة شعراء مقلون ، صنعه الأستاذ حاتم صالح الضامن ، مطابع
دار الحكمة للطباعة والنشر ، الموصل ، 1411هـ-1990م . 

علم الدلالة - دراسة وتطبيقا ، د. نور الهدى لوشن ، منشورات جامعة
يونس - بنغازي ، ط1 ، 1995 . 

علم المعاني ، د. درويش الجندي ، دار النهضة مصر ، 1962 . 

علم المعاني ، د. عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،
بيروت ، ط2 ، 1970 . 

علم المعاني - تاصيل وتقييم ، د. حسن طبل ، مكتبة الايمان - المنصورة ،
1999 . 

علم المعاني - دراسة وتحليل ، د. كريمة ابو زيد ، دار التوفيق النموذجية
للطباعة ، القاهرة ، ط1 ، 1988 . 

علم المعاني ومقتضى الحال ، د. اسعد علي ، دار الرائد العربي للطباعة
والنشر ، لبنان ، 1991 م . 

علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) ، محمد احمد قاسم ، ود.محي الدين عبد
ديب ، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس - لبنان 2008 . 

العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد
محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط4 ، 1972م . 

📖 عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي ، تحقيق وتعليق د. طه الحاجري ، ود. محمد زغلول سلام ، القاهرة ، 1956 .

📖 فقه اللغة وسر العربية ، الثعالبي (ت430هـ) ، تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط2 ، 1954م . ، د. عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط

📖 فلسفة البلاغة ، د. رجاء عيد ، نشر منشأة المعارف ، مطبعة أطلس ، القاهرة ، 1979 م .

📖 فنون صناعة الكتابة ، د. مصطفى الرافي ، ود. عبد الحميد جيدة ، المكتبة الحديثة ، مكتب الشمال للطباعة والنشر ، طرابلس ، ط1 ، 1979 م .

📖 فوات الوفيات ، محمد بن شاعر أكتبي (ت764 هـ) ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1973م .

📖 في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية) د. حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2002 م .

📖 في سيمياء الشعر القديم دراسة نظرية وتطبيقية ، محمد مفتاح ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1982 م .

📖 في فلسفة البلاغة العربية – علم المعاني ، د. حلمي مرزوق ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط1 ، 2004 م .

في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ، منشورات المكتبة
العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط1 ، 1964 م . 

القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت.817هـ) دار
الفكر ، بيروت ، 1978م . 

قضايا النقد الأدبي ، د. محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية، بيروت ،
1979 م . 

قطر الندى وبل الصدى ، ابن هشام الأنصاري (ت761هـ) تحقيق محمد محي
الدين عبد الحميد ، ط9 ، 1957م . 

قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، د. سناء البياتي ، دار وائل للنشر
والتوزيع ، الأردن ، ط1، 2003 م . 

الكامل في اللغة والأدب ، المبرد (ت285هـ) مراجعة تغايد بيضون ، ونعيم
زرزور ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996 م . 

الكتاب ، أبو بشر عثمان بن قنبر سيبويه تحقيق عبد السلام محمد هارون ،
مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط3 ، 1408هـ/1988م . 

كتاب المقتصد في شرح الإيضاح ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق كاظم بحر
المرجان ، دار الرشيد – بغداد ، 1982 م . 

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،
الزمخشري (ت538هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان . 

لسان العرب ، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت711هـ) ،
دار صادر ، بيروت ، د.ت . 

اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط3 ،
1998 م . 

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق محمد
محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، بيروت ، 1999م . 

مجاز القران ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، تحقيق وتعليق احمد مزيد
المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2006 م . 

مجمع البيان في تفسير القران ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي
(ت 548 هـ) وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه السيد هاشم
أرسولي المحلاتي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان ، ط1 ،
1412هـ-1992 م . 

المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبي الفتح
عثمان بن جني (ت395هـ) ، تحقيق علي النجدي ناصف ، د. عبد الحليم
النجار ، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى
للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء كتب السنة ، القاهرة ، 1424هـ-2004 م . 

المعاني في ضوء أساليب القران ، د. عبد الفتاح لاشين ، دار الفكر العربي ،
1419هـ/1999م . 

معاني القران ، للاخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي (ت215هـ) تحقيق
د. عبد الأمير محمد امين الورد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط5 ، 1979م . 

معاني القران ، للفراء ، عالم الكتب ، بيروت ، ط2 ، 1980 م . 

معاني النحو ، د. فاضل السامرائي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره، 1987م 

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، الشيخ عبد الرحيم بن احمد العباسي (ت953هـ) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1367هـ/1973م . 

المعيار في اوزان الشعراء ، أبو عبد الله الأندلسي ، تحقيق عبد الله هنداي ، مطبعة الامانة القاهرة ، 1987 م . 

مفتاح العلوم ، السكاكي ، تحقيق أكرم عثمان يوسف ، مطبعة دار الرسالة ، بغداد ، ط1 ، 1982 م . 

المقتضب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ت . 

مناهج بلاغية ، د. احمد مطلوب ، نشر وكالة المطبوعات ، الكويت، ط1 ، 1973 م . 

الموازنة بين الطائيين ، أبو القاسم الحسن بن بشر الامدي ، تحقيق السيد صقر ، وعبد الله محارب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4 ، 1992 . 

الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء ، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ، تحقيق محمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1995 . 

نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين (من الكندي حتى ابن رشد) د. الفت كمال الروبي ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1983 م . 

نظرية اللغة في النقد العربي ، د. عبد الحكيم راضي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1980 م . 

نظرية اللغة والجمال ، د. تامر سلوم ، دار الحوار - اللاذقية ، ط1 ، 1983 

نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1987 . 

النقد والإعجاز ، د. محمد تحريشي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2004 م . 

النقد والدراسة الأدبية ، د. حلمي مرزوق ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، مصر ، ط1 ، 2004 م . 

نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي (ت606هـ) ، تحقيق وتقديم د. إبراهيم السامرائي ، ود. محمد بركات حمدي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، 1985 م . 

النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ، مجد الدين المبارك بن الجزري (ت606هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، 1421هـ/2000 م . 

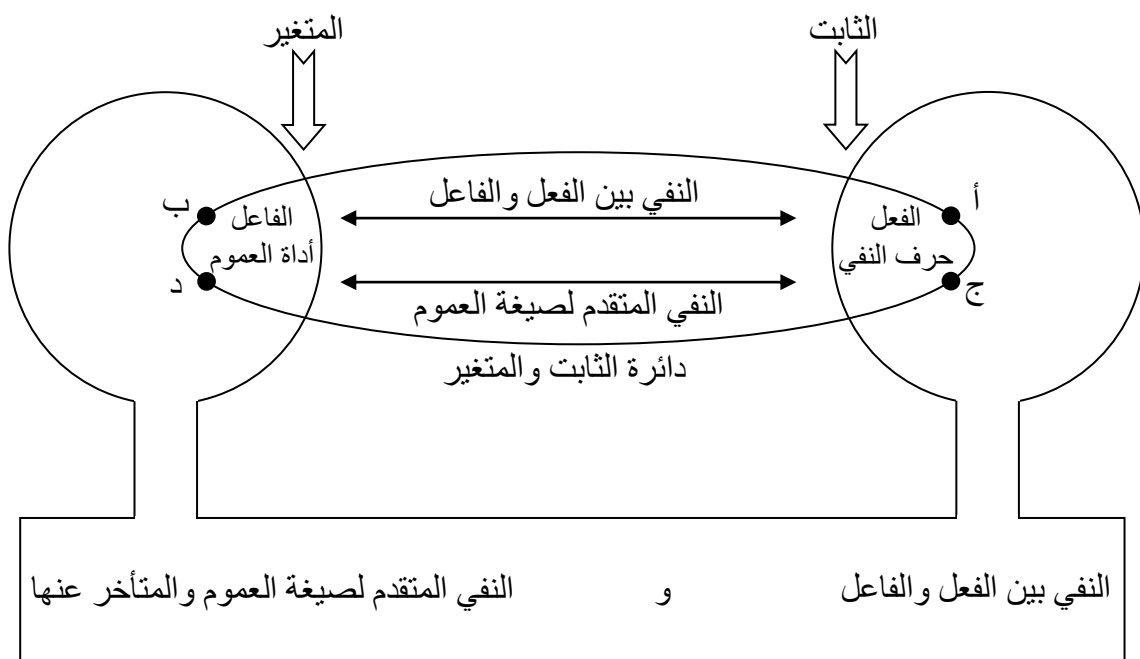
همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي (ت911هـ) ، مطبعة السعادة بمصر ، ط1 ، 1327 هـ . 

الأنطاريح الجامعية :

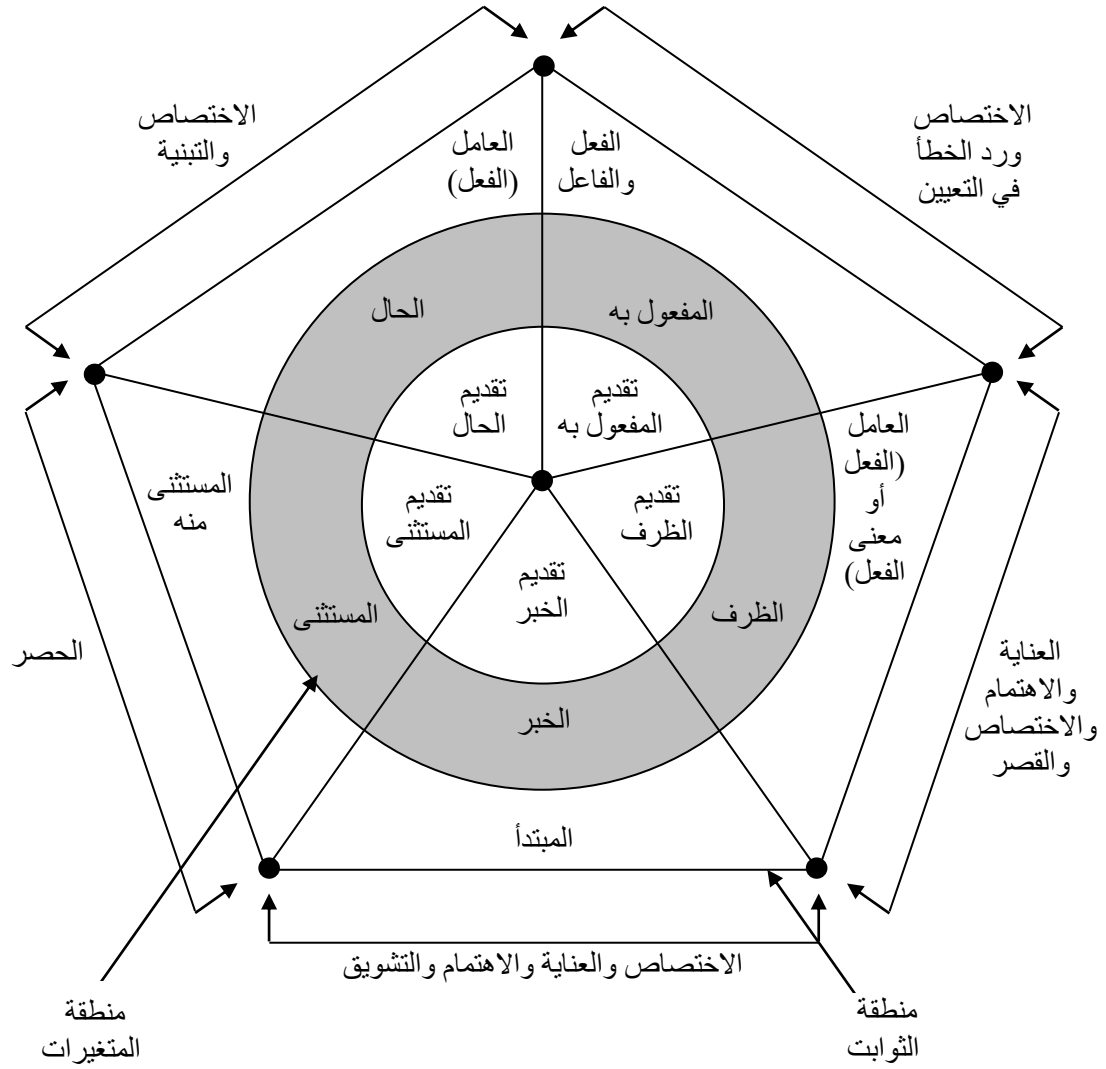
أسلوبية النظم البلاغي في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، أطروحة دكتوراه ،
نجد هاشم شكري – كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1999م. 

الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب ، أطروحة دكتوراه ، عباس
رشيد الدرة – كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1997م 

النقد البلاغي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، أطروحة
دكتوراه ، عبد الهادي خضر نيشان – كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1989م. 



(التقديم والتأخير في النفي)



(التقديم والتأخير في الإثبات)

